ناظم حكمت

الأعمال الشعرية الكاملة

ترجمة فاضل لقمان

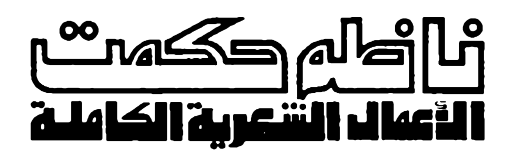
مدونة أبو عبدو



الجزء الثالث

١٩٤٠-١٩٤٩


ناظم حكمت
الأعمال الشعرية الكاملة



ترجمة فاضل لقمان

ألجزء ألثالث

١٩٤٠-١٩٤٩



جميع الحقوق محفوظة
دار الفارابي بيروت
ص ب ١١/٣١٨١
الطبعة الأولى ١٩٨١

صمم الغلاف: **حسين ياغي**

قصائد ١٩٤٠



كاتب في قلم السجن

منذ خمس وعشرين سنة
أي منذ ربع قرن من الزمان
دأبت أصابع كاتب قلم السجن
المأمور
على لمس قلوب البشر
وهي تحدق متصلة بيدين
من الشرر.
قد يكون عمر ابن آدم
أقصر مما ينبغي
وقد يكون أطول مما يجب.
لنشرب قدحاً آخر
قدحاً صغيراً واحداً!
«من البكاء! . . .
نعم من البكاء أصبحت الخمرة سماً زعافاً
مرة أخرى هذه الليلة.»

تحركت حافلة «بيبك» من «ايمينينو»
سوق السمك غارق في بحر من الظلام الدامس.

حبات المطر تصطدم بزجاج الخمّارة
أيها المعلم ناجي المرحوم!
«روحي
وأنا تحولنا إلى ورقة في مهب الريح!»...
«ما سبب هذا الضجيج
ما سبب هذه الحالة...؟

لماذا يكون الناس حزانى
مثل فرخ السمك الصغير القابع في هذا الصحن؟»

يوم القيامة
نعم يوم القيامة والحساب،
سيقوم عبدكم كاتب قلم السجن
بتوجيه سؤال واحد إلى عزرائيل،
لنشرب قدحاً صغيراً آخر. . .
هل شاهدتم انساناً يُعلق على المشنقة من قبل؟. . .
غداً سنعلق واحداً
مع مطلع الفجر.

كان عبدالحميد
يلقي بطلبة كلية الطب من «السراي بورنو».
التيار جرف الأكياس
لم يعثر عليها أحد.
ما أكثرهم!

ما أكثر الذين عُلِّقوا على أعواد المشانق
في عهد «الحرية»!
قديماً كانوا يُعلَّقون عند طرف الجسر
أما اليوم فيتم ذلك في «السلطان أحمد».

لنشرب قدحاً صغيراً آخر.
«ما من شيء محظور في استانبول
حيث الأجواء تفعم بالحيوية والنشاط
روح الانسان»
هكذا قال الشاعر
نديم افندي.

١٩٤٠

رسائل من سجن «جانقري»

الساعة الرابعة،
لست هناك.
الساعة الخامسة.
غائب.
السادسة، السابعة،
اليوم التالي،
ربما....
من يدري؟...

كانت لنا حديقة
في باحة السجن.
تمتد حوالى خمس عشرة خطوة
تحت جدار دافىء.
كنت تأتي،
ونجلس جنبا إلى جنب،

كيسك الأحمر المصنوع من الشمع
ذلك الكيس الكبير
فوق ركبتيك.

ألا تذكر محمد قاطع الرؤوس؟
إنه من نزلاء مهجع الصبيان.
رأسه مربع،
ساقاه قصيرتان ثخينتان
يداه أكبر من قدميه.
طحن رأس ذلك الذي سرق
العسل من جراره
بالحجر.
كان يناديك: «أيتها السيدة الأخت!».
كانت عنده حديقة أصغر من حديقتنا،
بالغة النظافة، في الأعلى،

قريبة من الشمس،
داخل احدى علب المعلبات . . .
هل تذكر أحد أيام السبوت،
هل تذكر ذلك الأصيل
المبلل بمياه صنبور السجن؟
المعلم «شعبان» مبيّض الأواني
غنّى احدى الأغاني،
هل تذكر تلك الأغنية:
«سوق الجمعة مأوانا وموطننا
ومن يدري أين هو مقر اجسادنا . . ؟»
مع أني رسمت صورتك مرات عديدة
لم تترك لي صورة واحدة.

ولكن بحوزتي صورتك الفوتوغرافية:
أنت في حديقة أخرى
بالغ الاطمئنان
شديد السعادة

تضحك
وانت تقدم العلف لسرب منَ الدجاج.
لا دجاج في حديقة السجن
مع ذلك استطعنا أن نضحك من الأعماق
وقد كنا سعداء بما فيه الكفاية.
ألا تذكر كيف تلقينا أنباءً
عن أجمل آيات الحرية؟
كيف أصغينا إلى وقع خطوات
البشائر القادمة؟
ما أجمل الأشياء التي تحدثنا عنها
في حديقة السجن!...

-٢-

ذات مساء
جلسنا
قريباً من باب السجن
رحنا نقرأ الرباعيات
من شعر الغزالي:
«ليل:
الحديقة سجادة سندسية كبيرة
راقصاتك الدائمات ذوات الحلي الذهبية المتلألئة
والأموات الممددون بأطوالهم في الصناديق الخشبية.»
إذا ما حاولت الحياة يوماً،
مثل سحابة حبلى وسوداء
بعيدة عني،
مصابة بالغم،
فاقرأي الغزالي مرة أخرى.

عندئذ سأكون مطمئناً
لكونك ستشعرين بالشفقة فقط
إزاء «بيرايا» ي أنا،
ازاء وحدتها اليائسة
وخوفها الجليل
في مواجهة الموت.
ليتولّى نهر جار جرف الغزالي اليك:
«ـ الطين تحول إلى كأس،
وهناك على رفوف الخزّاف
الأوسمة الملكية
وذكريات الانتصارات
للأكاسرة
وقد تحطمت على الجدران...»
حالات التراكمات
ثم حالاتِ القفز.

البرودة

والحرارة

ثم الرطوبة الندية.

في هذه الحديقة السندسية الواسعة

دونما بداية أو نهاية

وراقصاتك المستغرقات في الرقص

دونما توقف أو راحة. . .

لست ادري لماذا اذكر باستمرار

جملة «جانقرية»

سمعتها منك لأول مرة:

ما أن تبدأ أشجار الحور

تكتسي بالزغب

حتى ينضج الكرز دون تأخير».

أشجار الحور تكتسي بالزغب

عند الغزالي

ولكن الاستاذ
يعجز عن رؤية مجيء موسم الكرز.
ههنا يكمن سبب عبادته للموت.
«علي السكر» في الطابق العلوي
يعزف على طمبور بثلاثة أوتار مزدوجة.
غابت الشمس.
الأطفال يتصايحون وراء الأسوار.
الماء منهمر من السبيل.
في ضياء مصابيح مخفر الدرك
ثلاثة جراء ذئاب مربوطة بأشجار الأكاسيا.
تفتحت حديقتي السندسية الواسعة
خارج القضبان.
الحياة هي الأساس...
لا تنسِني يا خديجتي...

-٣-

اليوم: الأربعاء
- تعرفين أنه-
يوم سوق «جانقري».
البيض، والبرغل،
والباذنجانات البنية الضاربة إلى الحمرة،
تلك التي ستأتي إلينا
عبر بوابة الجديد
داخل السلال المصنوعة من القصب...

أمس
راقبت القادمين من الأرياف:
كانوا متعبين.

كانوا أذكياء
وحذرين مرتابين،
وتحت حواجبهم أكوام من الحزن.
مروا: الرجال فوق الحمير
والنساء على اقدامهن الحافية.
ربما كان بينهم أناس من معارفك.
وربما كانوا في اثنين من أيام الأربعاء:
قد بحثوا في السوق
عن «الاسطمبولية» البعيدة عن «التكبّر»
ذات الغطاء الأحمر...

٢٠ / ٧ / ١٩٤٠

-٤-

الحر شديد بشكل غير عادي
وأنا من أبناء السواحل،
ويا للبحر! ما أبعده!...

بين الثانية والخامسة
وأنا مستلق تحت الناموسية
غارقاً في بحر من العرق
أصغي، عيوني مفتوحة،
دونما حركة، إلى طنين الذباب.
أعرف
أنهم الآن في الباحة
يصفعون الجدران بالماء،
وأن الحجارة الحمراء المتقدة
تطلق كتلاً من الأبخرة.

هناك وراء الجدران
عند ذيل القلعة التي
احترقت أعشابها،
كانت المدينة غارقة في ضوء
مثل ضوء ماء جهنم
بسقوفها الآجرية الحالكة السواد. . .
في الليالي تهب الرياح فجأة.
ثم تختفي وتضيع بشكل مفاجىء أيضاً.
ويروح الحر الشديد، مصعّداً زفراته
مثل كائن حي في بحر الظلام،
يجوس بأقدامه الناعمة المغطاة بالأوبار بيننا
ويوجّه إلينا جملة من التهديدات المختلفة.

من حين لآخر
نحس مع موجات من القشعريرة
فوق بشراتنا
بالطبيعة كما لو أنها نوع من الخوف. . .
قد يحدث زلزال. لقد اقترب إلى مسافة ثلاثة أيام،
هزّ «يوزقات جايان أوغلو».
وحسب قول السكان المحليين:
مدينة «جانقري»، لأن فيها ستة مناجم للملح،
ستنهار
قبل القيامة بأربعين يوماً.

أن تنام ذات ليلة
ويتعرض رأسك للطحن بلوح خشبي ثقيل
فلا تنهض عند الصباح.
يا له من موت أعمى وتافه!
أنا أريد أن أعيش أكثر قليلاً
لا بل أن أعيش كثيراً.
أريد ذلك لجملة من الأسباب
للعديد العديد من الأسباب
الهامة جداً.

١٢/٨/١٩٤٠

- ٥ -

يحل المساء الساعة الخامسة:
ها هي الغيوم القادمة لتنقض عليك.
واضح أنها محملة بالأمطار.
عدد كبير
من هذه السحب تمر منخفضة
كما لو كان بوسع المرء
أن يقبض عليها....

أضيء مصباح غرفتنا الشمعات المئة،
وكذلك مصباح الكاز العائد للخياطين،
وراح الخياطون يشربون منقوع الزيزفون....
ذلك يعني أن الشتاء قد حل...
أشعر بالبرد.
غير اني لست مغموماً

هاك هذه الميزة الخاصة بنا:
أن تشعر بالبرد
ولا تحس بالغم
في هذا العالم الذي ليته يغرق في الدفء
في هذا العالم الكبير المرشح لأن يدفأ،
وأنت داخل السجن أيام الشتاء،
بل وخارجه أيضاً.....

٢٦ / ١٠ / ٩٤٠

قصة يونس الأعرج وشجرة الجوز

لنا صديق هنا
إنه من قرية «قاووق»
في ناحية «جركش».
هناك أشياء كثيرة مخبوءة
في داخله
مثل الكتب الكبيرة
إنه:
مولع بسماع أحاديث العقلاء
ونشرات الأخبار
وبالحزازير.
اسمه: يونس.
إنه يشعل النار لنا
ويسقينا الماء.
نتحدث عن الأشجار،
والأيام.

لا بد أن أجمل الأيام التي سنعيشها
لا تزال مخبوءه في المستقبل،
الآن
عرفنا من خلال المسامرة
أن واحدة من أشجار الجوز عنده
قُطعت
وبيعت.
أصبحنا نعرفها:
كانت داخل صحن الدار
إلى اليسار من الباب.
وقع يونس عن أحد أغصانها وهو في السادسة،
ذلك هو السبب في أنه يعرج.
الثيران تحب الأعرج،
لأن الأعرج يحرث ببطء.
الثيران تحب العرجان،
أما أشجار الجوز فلا تحبهم:

لأن العرجان لا يستطيعون أن ينقضوا على الثمار،
لأنهم عاجزون عن أن يتسلقوها
ليهزوا أغصانها.

أشجار الجوز لا تحب العرجان.
موضوع الحب موضوع عجيب غريب،
كل الذين لا يحظون بالحب
لا يلقون بأنفسهم في الوديان،
ذلك مؤكد.
ولكن حيل البشر كثيرة،
فالناس
يعرفون أن يحبوا دون أن يكونوا محبوبين.
عجيبة قضية الحب
عجيبة
قصة يونس الأعرج
وشجرة الجوز....

حبات الجوز تُسقطها في أيلول،
رغم أن أوراقها تبقى خضراء حتى تشرين الثاني.
أغصانها كانت تستيقظ قبل النساء
ساعة مجيء صلاة الصبح على طريق «جركش»
حاملة أولى خيوط النور.
كان يونس يتأمل وهو يمشي تحتها..
التأمل والتفكير،
يا إلهي.. ما أقدسهما!
ما أرهبهما!
وما أسعدهما!

أما الموت
فكان بنظر يونس
تلك القرية التي لا بد من زيارتها
تلك التي لا عودة منها،
تلك القرية التي لا أحد يفكر بها.

.... إنها تُسقط ثمارها في أيلول
رغم أن أوراقها تبقى خضراء حتى تشرين الثاني.
في الشمس ظلالها كانت مخادعة،
أثناء هبوب الريح كانت تحدث نفسها،
فيما أغصانها في الأعالي كانت تنظر إلى يونس.

..... لم يكن يونس يعرف
سبب انطفاء النجوم في النهار
وأن الأرض كروية
وأنها تدور حول الشمس.

هذه الأمور نحن علمناه إياها،
غير أنه لم يصب بالذهول.

. . . . أشجار الجوز تسقط ثمارها في أيلول ،
رغم أن أوراقها تبقى خضراء حتى تشرين الثاني.
كانت الشجرة باسقة، ومترامية الأطراف كثيراً،
لو حاول ثلاثة أشخاص أن يحيطوا
بجذعها
ممسك بعضهم بذراع بعض
لما استطاعوا.
ليلاً كان يونس يجلس تحتها.

. . . . لم تكن عند يونس أية فكرة عن:
المسلمين في الصين
وعن حيوانات الكركدن ذوات القرون الوحيدة
مكان الأنف،
وعن اتساع قطرة الماء لمليون من الجراثيم.
وهو حين تعلم هذه الأشياء منا
لم يصب بالذهول.

. . . كانت تسقط ثمارها في أيلول
رغم أن أوراقها كانت تبقى خضراء حتى تشرين الثاني.
جذورها ضاربة في أعماق التراب،
هي مياه مظلمة تسيل فوق رأسك.
كل مساء كان يونس يمر من تحتها

. . . . ذات يوم، وهو يقدم لنا الماء
بعد اشعال النار،
قلنا له:
ـ نحن خدم لك وأنت سيدنا.
عندئذ أصيب يونس بالذهول.
. . إنها تسقط ثمارها في أيلول
رغم أن أوراقها كانت تبقى خضراء حتى تشرين الثاني.
كانت تحدّث نفسها أثناء هبوب الرياح.
باسقة كانت وعريضة جداً،

حين تجلس تحتها في الليل
كنت تعجز عن رؤية النجوم،
هي مياه سوداء تتدفق فوق رأسك،
جذورها ضاربة في أعماق التراب،
أغصانها في الأعالي تنظر إلى يونس.
«ـ العمل في الريف صعب بالتأكيد،
باديء الأمر يتعرض الجسم للسحق والطحن.
وهل من أحد يعرف في أي الحجور
يكمن البلاء؟
لا بد لك من أن تنسحق!»
لقد أصاب البلاء يونس من الكبد.

«ـ نحن لم نعش في العالم أبداً.
أتينا ونرحل هكذا دون ثمن.
قيل إن مدينة استانبول بالغة الروعة
غير أن رؤيتها لم تكن من نصيبنا.
ولكن لماذا ليس لكل من ثلاثين عائلة من ستين
ولو عنزة واحدة؟»
يونس لم يكن يملك عنزة.
«ـ الحجر الذي ترميه
لا يصيب الطائر الذي تقصده
لقد ركب العالم في القطار،
لقد أقلع العالم عن الدوران محمولاً على قرن ثور.
الثور هو كل شيء بالنسبة لنا:
هو يدنا وقدمنا...
صعب جداً أن يبيع الانسان ثوره
ذلك يعادل نصف الموت

ما أن تفقد ثورك حتى تغدو معرضاً للأخطار المخيفة».
لقد باعوا الثور العائد ليونس.
«ـ ربما شوهدت نهاية الطرق.
تحولت الأرض إلى شيء كالصابون
أصبحت تتسلل من أصابع المرء.
لكل المخلوقات أماكنها
عدا الذئب الذي لا مكان له،
وحين تذهب أرضك من يدك
تغدو ذئبا دون مكان.»
لقد ذهبت أرض يونس من يده.
كانتشجرة الجوز تسقط ثمارها في أيلول
أما أوراقها فكانت تبقى خضراء حتى تشرين الثاني.
ظلالها في الشمس كانت مخادعة.
إن يونس دائم التفكير بها
إنه مشغول بها على الدوام،

هي: كانت تتحدث مع نفسها اثناء هبوب الرياح
دون أن تطلب شيئاً أو تسأل عن شيء.

«. . . . لا بد للأطفال
من أم
وللبذور
من أرض،
ولجنس الرجال
من زوجة».

يونس أختطف احدى الفتيات،
لأن اقامة العرس مكلفة
والخطف بخس الثمن.

زوجة الفقير لا تكون قوية.
ذات يوم
على طريق «جركش»
عند انبلاج أولى خيوط الفجر
تدحرجت على الأرض خلف يونس،
ولفظت أنفاسها الأخيرة ملفوفة بالخرقة الحمراء.
بقي يونس مع شجرة الجوز
دون أرض ودون ثور ودون امرأة
وحيدين في العالم.
أناخت الوحدة بكل ثقلها على يونس،
راح يسفح سيولاً من عرقه في أراضي الآخرين.
كان يحرس شجرة الجوز حتى الصباح
دون أن ينام خوفاً من ضياعها منه.
شجرة الجوز لم تكن لتهتم بالوحدة،
جذورها ضاربة في أعماق التراب
أغصانها في الأعالي تنظر إلى يونس.

من خشب الجوز يصنعون الموبيليا.
ولكن ما الفائدة من يونس الأعرج؟

حلت أيام الشتاء بردها كالزمهرير
لست قادراً على الاحتمال.
من خشب الجوز يصنعون الموبيليا،
لا، لم تعد قادراً على الاستمرار في التسكع.
هيا بعْ شجرة الجوز يا يونس!
إنها ليست لحافاً صوفياً حتى تلتف به.
من خشب الجوز يصنعون الموبيليا.
ليست سوى شجرة لا حياة فيها
ولن تستطيع الافادة منها.
هيا بِعْ شجرة الجوز يا يونس!

هل رأيتم من يملك بساطاً لمن ليس عنده؟
ويل لحال شجرة الجوز! وويل لحالي أنا!

أما كانت مأوى للذئب الذي لا مأوى له؟
إنهم يصنعون الموبيليا من خشب الجوز.
شجرة الجوز تلك كانت نصف شجرة ونصف انسان.
هيا يا يونس بعْ شجرة الجوز!
تمددت الجنازة العارية فوق الثلج.
إنهم يصنعون الموبيليا من خشب الجوز.
قُطِعت الأغصان، ثم بتر كل الفروع.
لقد باع يونس شجرة الجوز.

هل رأيتم من يملك بساطاً ينسج بساطاً لمن ليس عنده؟
ويل لحال شجرة الجوز! وويل لحالي أنا!
للصباح من يملكه.
الشمس لا تبقى خلف الغيوم باستمرار.
لا بد أن أجمل الأيام
التي سنعيشها
هي تلك القادمة.
الآن في حديثنا وسمرنا
بيعت احدى شجرات الجوز
بعد أن تم قطعها.
مع أحزانها.

سجن جانقري
١٩٤٠



ميلاده وكور الحداد

يا له من كور للحداد!
ما أكثر ما وقف مفعماً باليأس
تحت المطر.
يا للعواصف!
ما أكثر ما كانت تنتفض لتنهال بالصفعات على الكور.
حين كان الليل مثل شراع أسود غارقاً في الأعاصير،
حين لم تكن الأشجار قادرة على تملك أغصانها،
والطيور على تملك أجنحتها،
حين كانت الأرض تجتذب إليها البروق المرعدة
من أيدي الظلام،
حين كان الناس والآلات غارقين في النوم العميق
وقد تركوا الأرصفة،
وُلد طفل في احد الطوابق الأرضية.

اتقدت النجوم فرادى
واتقدت حزماً ومجموعات.
النجوم كانت باعثة على السرور
مضيئة
وكريمة
مثل عينيه الطفلتين . . .

كور الحداد
توهج وابتسم،
وقال:
«- هو هو ذلك الذي ولد في الطابق الأرضي.
إنه الدليل والقائد.
فكره عميق، عواطفه جياشة، غضبه هائل،
إنه ابن من ليس عندهم نار،
هو هو الذي سيعطي الآلة لمن لا يملكون ناراً.

هو: بينهم، وأمامهم،
في ليال المآتم، في ساحات العراك، في أيام الأعياد.
إنه سيحتضنهم من كل جانب
كاحتضان الأم لطفلها
والعناصر القديمة الأربعة:
النار والتراب، الريح والمطر،
ستكون رهن بنانه.
إنه سيتولى اتمام
الكتاب الأخير من قصة العميان.
وسيكتب كتاب الانسانية الجوهري
عارفاً ما يفعل
وراغباً في ذلك.»

غرقت مدخنة كور الحداد في الصمت
ها قد طلع الفجر!

١٩٤٠



هو وأصحاب اللحى البيضاء

المشهد: أشجار الصفصاف الخضراء،
شاهدات القبور البيضاء،
الكتب المخطوطة باليد.
النهار: كان يقترب من الغروب بصمت،
وبتكاسل.
حول مرآة العبر والدروس كانوا متحلقين
وقد جلسوا القرفصاء كما لو كانوا على مائدة
عامرة بالفواكه.
لحيته البيضاء تنم عن الحكمة والمعرفة.
عيناه شابتان،
يداه متعبتان،
ملهمتان، رهيبتان، ذاهلتان.

أطل على الجماعة فَجأة

قال:

« ـ يا أيها الذين ينظرون إلى مرآة العبر
ويشعلون عيدانهم
ثم يشرحون ويفسرون.
المهارة تكمن في الامساك بالمتغير
وفي التوغل إلى قلبه
والعمل على تغييره.
حذار من التوهم بأن المتغير سهم منطلق على هواه
دونما قانون أو نظام!

أنا الذي أعرف، أقول لكم واعلّمكم:
ليس الرب والكتاب
«بطلاً» تتطاير خصلات شعره في الهواء،
فالعالمون (منذ أيام الغابات الظلماء،
والجلود المملحة، والعصي والفؤوس الحجرية)
هم الذين يخوضون غمار المغامرة الكبرى.
إنهم كثر مثل النمل في الأرض
مثل السمك في البحر
مثل الطيور في الهواء.
فيهم الجبان والشجاع،
فيهم الجاهل والحكيم
إنهم وأطفالهم.
هم هم الذين يقهرون
ويبدعون،
أناشيدي لا تحتوي إلاً على مغامرات أولئك...»

١٩٤٠



حان موعد البشائر

الدبابات الصاخبة تأتي من تحت طبقات الأرض السبع.
ما أكثر البشائر التي ظهرت!
لقد حان الموعد.
الحرام صار حلالاً، وصار الحلال حراماً.
أيتها الدودة البيضاء اقضمي الخشبة السوداء مرة أخرى!
هيا انفخوا في الكور
لقد أصبح الحديد في قلب النار.
كثيرة هي البشائر المتبدية، فقد حان الموعد.
أصبح الذي يتاجر بالموت بغية الربح معروفاً،
تكاملت دورة نفي النفي عند الذين أنكروا ذواتهم.
ها قد سمعنا نقرات الصوص على القشرة.
سمعنا نبأ استيقاظ المارد من نومه
ذلك المارد الذي لن يخسر إلا قيوده.

الدبدبات الصاخبة تأتي من تحت طبقات الأرض السبع.
لا تنظر إلى الخلف! ليس هناك أي معين!
لقد أصبح اللجام عاجزاً عن وقف الحصان.
ألا ترى قدمه التي خرجت من الركاب؟

ألا ترى شفتيه المشققتين تنزان دما؟
إنه منطلق، يسير ويسير
أما من نهاية لهذه الطرق المحفوفة بالنيران؟
هذا هو الطريق الذي يقف هناك.
«ما أصعب التحول إلى تراب!»

هيا انفخوا في الكور
لقد أصبح الحديد في قلب النار.

سقطت سبيكة متقدة من النار وسط كتل الجليد.
ظهرت البشائر، إنها بشائر القيامة.
اعلموا، إنه الخبر اليقين:
أوشك الماء على بلوغ نقطة الغليان.

١٩٤٠



مرحبا أيها الأطفال

ما أسعدك يا ناظم!
فقد استطعت أن تقول:
«مرحبا»
من أعماق القلب وبكل الرغبة
مطمئناً وواثقاً.
نحن في عام ٩٤٠
وفي تموز من هذا العام.
أول يوم أربعاء من الشهر.
الساعة التاسعة.
أرّخوا رسائلكم بهذه الصورة المفصلة.
فنحن نعيش في عالم
يسجل فيه الشهر واليوم والساعه
وثائق أغنى مما يحتويه أضخم ال
مرحباً أيها الأولاد!

أن أطلق

عبارة تحية كبيرة وواسعة

وأن أغمز

ـ بشيء من الدهاء والسعادةـ

قبل أن أنهي كلامي

وأنا أنظر إلى وجوهكم مبتسماً. . .

ما أروع صداقتنا!

بعضنا يفهم بعضنا الآخر

دون كلمات ودون أرقام. . . .

مرحباً أيها الأولاد،

احبيكم كلكم. . .

١٩٤٠

قصة الحوض

تلقى سليمان مخابرة هاتفية من زوجته:
ـ أنا المتحدثة
نعم أنا «فاخرة».
ألم تتعرف علي من صوتي؟
ذلك يعني أنني صرخت كثيراً فجأة.
صياح..؟
ربما...
لا،
الأولاد ليسوا مرضى.
اسمع:
اترك عملك وتعال،
إياك أن تتأخر،
لن أستطيع إفهامك بالهاتف
لا يجوز.

هناك بحر من الوقت حتى المغيب.
ساعات كثيرة، نعم ساعات عديدة.
لا تسأل.
اسمع!
إذا لم تجد سفينةمبحرةعلى الفور
فاعبر إلى «اسكودار» بالقارب.
ثم خذ احد «التكاسيٍ».
إذا لم تكن تملك نقوداً
فاستلف من رب العمل.
لا تفكربأيشيء وأنت على الطريق،
حاول كل جهدك دون مراوغة أن تأتي.

الأقوياء هم الجديرون بأن تكذب عليهم
أما أنا فلا حول لي ولا قوة!
لا تهزأ بي يا حياتي.
نعم سيهطل الثلج،
نعم
الطقس رائع.
تعال لا كرجل سوف أغوص
في صدره
لا كزوج لي
بل كعظيمي وحكيمي
وكأبي...

- ٢ -

جاء سليمان،
«فاخرة» سألت زوجها سليمان:
- هل هذا صحيح؟
- نعم!
- أشكرك يا سليمان.
لقد شعرت بالراحة الآن.
انظر لقد أقلعت عن البكاء.
وأين كنتما تلتقيان؟
- في احد الفنادق
- في مكان قريب من «بي أوغلو»؟
- نعم.

- كم مرة؟
- ثلاث مرات أو أربع.
- ثلاث مرات أم أربع؟
- لست أدري.
- أعلى هذه الدرجة من الصعوبة أن تتذكر ذلك يا سليمان؟
- لست أدري.
- يعني في غرفة أحد الفنادق.
من يدري كم كانت الشراشف قذرة؟!
سبق لي أن قرأت في احدى الروايات الانجليزية،
أن في الفنادق المخصصة لمثل هذه الممارسات
توجد أحواض محطمة.

هل كان في غرفتكم أيضاً مثل ذلك الحوض يا سليمان؟
ـ لست أدري.
ـ هلاّ تذكرت!
هيا، حوضاً محطماً ذا لون وردي أغبر؟
ـ نعم.
ـ هل قدّمت أية هدايا؟
ـ لا.
ـ قطعة من الشوكولا وما إليها؟
ـ مرة واحدة.
ـ هل أحببتها كثيراً؟
ـ أوتسألين عن الحب؟
لا!...

ـ هل هناك أخريات غيرها يا سليمان؟
ـ لا .
ـ وفي الماضي؟
ـ لا .
ـ ذلك يعني أنك أحببت هذه . . . .
لو كانت هناك أخريات
لشعرت بالاطمئنان أكثر . . . .
هل كانت تنام بطريقة بالغة الروعة؟
ـ لا .
ـ قل الصدق، انظر كم أنا جريئة . . .
ـ إنني أقول الصدق . . .
ـ لقد دلّوني عليها .
امرأة أشبه بالبقرة .
سيقانها أثخن من محيط خاصرتيّ . . . .
غير أن المسألة هي مسألة ذوق . . .

سؤال آخر يا سليمان هو:
لماذا؟
ـ لست أدري . . . . .

في الظلام، بجانب النافذة
غصن شجرة صنوبر مثقل بالثلج.
انقضى وقت طويل
منذ دقت الساعة المعلقة في الصالون
الثانية عشرة.

ـ ٣ ـ

«فاخرة» زوجة سليمان
في صباح اليوم التالي:
روت لزوجها الحديث التالي:

ـ . . . كانت الشفقة التي شعرت بها
إزاء نفسي تسبب لي ألماً لا يطاق،
حتى قررت أن أموت يا سليمان. . .
أمي وأولادي ولا سيما أنت في المقدمة
كنتم ستهتدون إلى مواقع أقدامي السوداء.
الحارس ورجال الشرطة وأنت
كنتم ستنتشلون من البئر الكائن في الباحة الخلفية
سلماً خشبياً وجسد امرأة ميتة.

ليس سهلاً
أن تسير ليلاً باتجاه البئر الكائن في الباحة،
ثم أن تتسلق السور المحيط به
لتلقي بنفسك في ظلمة البئر
رأسك إلى الأسفل وقدماك إلى الأعلى،
أليس كذلك؟

عدم عثوركم على آثار أقدامي في الثلج
لا يعود فقط للخوف
الذي شعرت به.
فالحارس ورجال الشرطة والسلم
الشائعات والفضيحة،
انتحار الزوجة المخدوعة:
يا للمهزلة!
شرح سبب موتي غاية في الصعوبة.
ولمن اشرح؟ للجميع، لك أنت مثلاً.
إن الانسان يفكر بالناس
حتى عندما يكون بصدد اتخاذ قرار يقضي بموته...

كنت أنت نائماً في الفراش
وجهك ينم عن الراحة،
كما كنت تنام على الدوام
قبل ذلك الأمر وبعد حدوثه.
الثلج بدأ يهطل في الخارج.
ماذا لو أخرج إلى الشرفة
بقميص النوم وحده؟
فأُصاب بذات الرئة في اليوم التالي،
لأموت دونما ضجيج.
لا،
لم يخطر ببالي احتمال أن أصاب بالرشح.

أوقدت النار في مدفأتنا.
لا بد من الدفء الشديد بادىء الأمر.
يقال إن الكبد يتحطم مثل أحد كؤوس الشاي.

أنظر إلى النافذة، إلى الثلج:
«كان الثلج
مثل طائر أضاع خليله
يبحث عن الأيام الخوالي وأجوائها الربيعية. . .»
أبي كان مولعاً بالشعر.
أما أنت فلا يثير اهتمامك.
«من اليمين الى اليسار، من اليسار إلى اليمين
أيتها الوردة الجميلة. . .»
خرجت إلى الشرفة دون أن اطفىء النور
«. . . الثلج مثلكِ
يسقط، ينهمر باكياً. . .»
جلست في الشرفة على احد الكراسي.
الصمت الكامل مخيّم.
الظلمة ناصعة البياض.
أبدو كما لو كنت غارقة في النوم.

يبدو كما لو كان شخص أهواه
يطوف حولي متوجساً وبنعومة
خشية أن يوقظني.
لا أحس بالبرد.
حزني يستقر ويرسخ
إنه يزداد لمعاناً.
كان النور المنعكس على الشرفة

من خلال باب الغرفة الزجاجي
أشبه بقطعة قماش دافئة فوق ركبتي.
وأنا غارقة في بركة رخوة من الحزن والغم
كنت أفكر بجملة من الأشياء العجيبة:
قيل إن شجرة الدلب الكائنة على الطريق المضاء
تبلغ ١٥٠ عاماً من العمر.
وماذا عن الديدان التي لا تعيش إلا يوماً واحداً؟

سيأتي زمن
يعيش فيه الناس
مدة طويلة جداً،
وفي سعادة كاملة.
فالانسان يملك قلباً ورأساً. . .
إنه يملك يدين أيضاً
الانسان؟
انسان أي زمن
أي مكان
أية طبقة تعني؟

أُناسُهم،
أُناسُنا نحن،
الحرب التي تخاض في سبيل عالم جديد
رغم كل شيء.

ثم أنت
وأنا
وحوض محطّم
أنا
والشفقة التي أحسست بها ازاء نفسي. . .
توقف الثلج.
أوشك الفجر على البزوغ.
عدت إلى الغرفة وأنا أحس بالخجل.
لو أفقت
في تلك اللحظة
لعانقتك و. . . .
لم تفق.
نعم،
سعيدة جداً فأنا لم أصب حتى بالرشح.
•

والآن؟
سأتذكر من حين لآخر
وسأنسى بين الحين والآخر
وسنستمر في العيش جنباً إلى جنب
وأنا واثقة من أنك تحبني.

- ٤ -

انقضى ما يقرب من ستة أشهر.
ذات ليلة كان الزوجان عائدين من البحر.
السماء كانت مزدانة بالنجوم،
والأشجار كانت محملة بالثمار الصيفية.
فجأة وقفت «فاخرة»
نظرت إلى عيني زوجها نظرة مفعمة بالحب
ثم صفعت وجهه صفعة قوية
كما لو كانت تبصق.

١٦ / ٨ / ١٩٤٠

رحلة يوسف البائس

حفر يوسف الشقي صورة سفينة
على صخرة سبيل السجن.
احد السجناء وقف ينظر
بعد أن نهل من السبيل:
إلى مقدمة السفينة الشبيهة بالكمان
تلك السفينة التي تسبق السفن الأخرى.
عند سبيل الماء
شجرة
ناصعة البياض،
إنها شجرة خوخ.

أيا يوسف الشقي!
هيا افتح شراعاً آخر،
وليقترب المكان الذي تقصده قليلاً.
هيا اقطع
غصناً من أغصان
شجرة الخوخ
وثبّته على سفينتك
حتى تأتي حمامات السجن لترافقك في رحلتك.
أيا يوسف الشقي!
خذني أنا الآخر
راكباً في سفينتك!
أغراضي ليست ثقيلة:
كتاب واحد،
صورة واحدة،
ودفتر واحد.

لنرحل
يا أخي!
هيا نرحل:
فالعالم جدير بأن نطوف حوله!

في مرفأ «قم قلعة»،
على الصاري منارة الخلاص.
على أفواه أشرعتنا واحدة من أغاني صيادي السمك
الرياح الشرقية المعروفة في البحر المحيط بالجزر.

نمر على الموانىء
واحداً بعد آخر.
البحار التي هي حياة سعيدة لا نهائية
تنتهى عند الموانىء.
في موانىء العالم اليوم يا يوسف
سهل أن تموت
ولكن من الصعب أن تعيش! . . .

نطل على صقلية.
بمحاذاة أشرعتنا المفتوحة
تمر باخرة بحرية مكشوفة
هي متلألئة، ذات طوابق، عملاقة،
إنها: أشبه بعالم
سقط في الماء من بين النجوم.

أنت وأنا يا يوسف،
نرفع رأسينا وننظر إليها،
ونبقى نشعل السيجارة بعد الأخرى
حتى تغيب وراء الأفق.

الأدرياتيك.
رسونا عند احدى سفن الصيد،
سألنا عن أخبار ايطاليا.
عجوز من «أنكونا» قال
وهو منهمك في تصنيف السمك دونما حركة:
«- ايطاليا كما تعرفونها،
«نيكوس» الهارب و «الدوجي» المنتصر
سعيدان!»
محق الصياد «الأنكوني».
فقد أمكن تغطية الحقائق الدامغة
بأكوام الأضاليل والكذب،
حتى انتقل «نيكوس»
من قصر دون حمّام
إلى آخر مجهز بالحمامات.

١٩٤٠

سليم بن شعبان

مصنع الزجاج في «بيقوز»
مصنع عصري حديث.
ينتج زجاج النوافذ مع بعض العيوب،
ورغم أن كاسات الماء التي ينتجها مضروبة
فإن أقداح المشروب الصغيرة رائعة...

لم يكن سليم معلّماً رئيسياً
مع ذلك كان حاصلاً على مهارة كبار المعلمين.
يمكنك وأنت مغمض العينين
أن تعتبر الزجاج الذي ينتجه مرايا!

باستمرار يحدق سليم
فيمن ينظر إليه
كما لو كان يريد أن يفهم واحداً من الألغاز
الكبيرة.

آمن بما آمن به دون تردد،
وأحب سليم من أحبهم دون خداع.
كان مولعاً بزجاج النوافذ،
كان مولعاً بقوارير المصابيح،
كما أحب زجاجات العرق ذوات الأعناق الطويلة،
غير أنه كان عدواً لأقداح المشروبات
الخفيفة. . .

«قوز قونجوك»

على الذي يشتغل في «بيقوز»
أن يسكن في «بيقوز».
غير أن «قوز قونجوك» بلدة حلوة،
كما أن المدام صاحبة «البانسيون»
وابنتها «راشيل»
تصنعان مربى الورد بطريقة غاية في المهارة......

في المرآة بطاقة بريدية:
منظر من مناظر مدينة «نيس».
كرسي، سرير، تواليت...
وكانت النوافذ تطل على البحر... .
في نور الشمس كان بريق الماء ينعكس على السقف،
في الليالي كانت القوارب المظلمة تمر
وهي تصيب الناظر إليها
بالذهول والحيرة.....

كانت غرفة سليم كثيرة الهواء.

الكتابات الحمراء كانت تجف في الفسحة المجاورة.
إلى اليمين مصيف جودت باشا
في المصيف طاووس
والسيدة «مبرورة» خانم فقط.
كانت «مبرورة» خانم
ترتدي فساتين من التفتا.
كانت طاعنة في السن
وعيناها الزرقاوان مكفوفتان.
«مبرورة» خانم كانت تصنع «التنتنة».
ما أن تفيق حتى تبدأ بصنع وردة بيضاء،
وحين تذهب إلى النوم كانت تبعثر وردتها...
لقد تعرضت «مبرورة» خانم للنسيان
في مصيف جودت باشا...

على الذي يشتغل في «بيقوز»
أن يسكن في «بيقوز».
ولكن «قوز قونجوك» بلدة حلوة.
وكان سليم يصغي كل مساء
إلى صيحات الأطفال العراة مثل فراخ السمك
التي لا حراشف لها،
الأطفال المنطلقين لاحتلال العالم،
من تلك الفسحة حيث تجف الكتابات الحمراء.....



الكتاب

« ينبغي للكتاب أن يكون ريحاً عاصفاً ،
ينبغي للكتاب أن يكون مهرة جامحة
من جياد الشاه اسماعيل
أن يكون قادراً على حملك فوق كتفيه
حتى تنقض على المردة من الأعلى.
المردة عند باب القلعة
المردة ذوو رؤوس سباعية واقفة سوداء فاحمة. . .
لا بد لك من دحرها.
عندئذ ينهار أحد الجدران
فتنزل إلى الحديقة. . . »
عثر سليم على كتاب من هذا النوع:
كتاباته السوداء
على صفحات الورق الأبيض،
حجمه بحجم اليد
كتاب يتألف من اربعين ورقة. . .



المركب الأخير

أبحر المركب الأخير من المرفأ.
المركب رقم «٦٤» يختلط بالنجوم
ويجري فارغاً متعباً فوق الماء....

الليل مملوء بالأصوات
وفي المرآة: ذراع راشيل
ويد سليم
وطريق المركب...

«- يدك مثل الجمر يا سليم...»

لحمها كان أبيض،
عيناها قاتمتان،
تلك هي راشيل ذات الشعر الأحمر...



الصفحة الواحدة والعشرون

«نبدأ كلامنا باسم الأرض
أنت أيتها الأرض
يجب علينا أن نعرف كيف نحبك.
في جوفك بذار زرعنا
وأساسات منشآتنا.
منك حديدنا وفحمنا.
بين يديك عمرنا الذي يمضي مثل رياحك،
نعم، بين يديك أنت....

أنت أيتها الأرض
تتغيّرين باستمرار دون كلل.
أنت جعلتنا بشراً داخل قطرات مياهك.
في سعينا الدؤوب لتغييرك
انما نقوم بتغيير أنفسنا...»

هذه هي الورقة الواحدة والعشرون.
أغلق سليم الكتاب.
الوعي هو الأغنية الأولى للحرية.
ها قد شرع سليم،
نعم سليم بن شعبان،
ينشد أغنية...

حلم راشيل

«ـ لقد طردوا المعلم حسن من عمله.
له أولاد:
عددهم كذا
بل وكذا...
الخباز «اللازي» أغلق دكانه،
والدكتور «مويس»
أطلق على نفسه النار، البارحة...
منذ بدأت أصغي إليك يا سليم
بدأت أرى أحلاماً مخيفة:

أرى رجالاً شديدي السمنة،

أذرعهم طويلة جداً،

أظافرهم مصبوغة بالدماء

وعلى أكتافهم أكياس من الذهب

يمشون محدثين كثيراً من الضجيج....

ما أكثر الذين يقتلونهم يا سليم!

ما أكثر الذين يقتلونهم من البشر!..»

«- لا تخافي فالأيام لنا نحن،

نعم لنا نحن يا «راشيلي» أنا....»

الصفحة الأربعون

«عندما جاؤوا إلى العالم
استدعوا بالدماء والنيران
من تحت الطوابق السبعة للأرض
أولئك المؤهلين لأن يحفروا قبورهم. . . »

هذه هي الصفحة الأربعون.
أغلق سليم الكتاب.
نزل كل من لا ينقل وعيه
إلى الآخرين. . . .
وسليم،
سليم بن شعبان. . .



موظف ديوان في سجن استانبول

«ـ استقبلنا اليوم عدداً لا بأس به
من الركاب.
أتانا قبل قليل:
مختلسون من الجمارك
شبكة لتهريب الهيروين
والمتورطون في جريمة «توب قابي».

المجموع: ٧٢٧.
باستثناء النساء.
ها نحن قد أمضينا يوماً كريهاً آخر. . .

هناك ضيف آخر،
لنسجل اسمه في القيود:

١٣٢٨

من مواليد ١٣٢٨
أيا ابن شعبان. . .
«ميريم»، فيما أنا مشغول بالكتابة
الق نظرة من النافذة:
في مثل هذه الساعة من وقت الغروب
يقف جامع السلطان أحمد
كما لو كان مشاداً من البلور الملوّن
لا من الحجارة. . . .

١٣٢٨ . . . .

من مواليد ١٣٢٨
ابن شعبان،
سليم بن شعبان. . .

لا يستطيع أن يقف على قدميه
عينه اليسرى غارقة في الدم. . .
إنني أعرف الأسباب
يا «ميريم»،
إنني أعرف أسباب كل هذا الصَّخب
وكل هذا الضجيج في هذه البلدة.

أين أنت يا «فضولي»؟
أين أنت يا «غالب دادا»؟
وأنت يا «نديم». . .
. . . .
لقد قال الشاعر نديم افندي:
«نسيم استانبول العليل يزيد روح الانسان حياة. . . .»

١٩٤٠



قصائد ١٩٤١



حول النصر

أنت صامد رغم الألم
تضغط على جرحك بيديك الرهيبتين
ونهراً من الدم يسيل من شفتيك.
لقد أصبح الأمل الآن
شعاراً عارياً
دون رحمة.
فالنصر بعد الآن
سيجري انتزاعه بالأظافر
ولن يكون أي مجال للتسامح.

الأيام ثقيلة،
إنها تأتي مملوءة بأخبار الموت.
العدو فظ، ظالم، وبالغ الخبث.
أناسنا يموتون وهم يكافحون،
- رغم أنهم كانوا جديرين جداً بالحياة-
يموت أناسنا
- ما أكثرهم!-
كما لو كانوا قد خرجوا في مسيرة
مع الأناشيد الزاهية والبيارق الصاخبة،
إنهم شباب
يندفعون دون خوف أو وجل...

الأيام ثقيلة،
إنها تأتي مملوءة بأخبار الموت.
أحرقنا أجمل العوالم بأيدينا
أضعنا البكاء في عيوننا،
دموعنا رحلت
تاركة إيانا في شيء من الحزن
غير أن رؤوسنا مرفوعة.
ولهذا السبب
نسينا معنى التسامح...
سيتم الوصول إلى الهدف
عبر بحار من الدم،
وسوف يتم انتزاع النصر
بالأظافر
سيكون نصراً لا يترك أي
مجال للمسامحة.

١٩٤١



من سجن بورصه
ريح الجنوب

البداية

من يدري كم هو عدد أطنان المياه
المتلاطمة أمواجها في المحيط؟!
وفوق أكثر الأمواج عزلة
علبة فارغة من علب المحفوظات...

١ -

منذ شهر كامل تمر ليالي السجن على النحو التالي:
أناث القطط الشبقة
- مؤخرتها مبلولة
شعورها منتصبة
على رقابها آثار الأسنان-
تتجول
محدثة أصواتا:
أصوات طيور حينا
وأصوات بشرية حيناً آخر،
وتبقى تتجول
حتى تتلقح.
الفصل يقترب من الربيع.

الرياح جنوبية.
إنها قوية
عنيفة ودافئة....
نحن: ستمئة رجل
دون نساء.
لقد انتزعوا منا
امكانية الانجاب.
أعنف طاقة عندي محظرة عليّ:
المساهمة في صنع حياة جديدة،
دحر الموت عبر رحم مخصب،
أن نبدع معاً، أنا وإياك يا حبيبتي:
محظور عليَّ أن ألامس جسدك!.....
الفصل يقترب من الربيع.

أعاصير.
رياح جنوبية.
يا لها من رياح قوية!
يا لها من رياح دافئة!...
مرة أخرى تحطّم زجاج في احد الأمكنة
- هذه هي المرة الثالثة الليلة..
أي المهاجع الفارغة بقي مفتوح الباب؟
إنه يرتطم بالجدار
محدثاً كثيراً من الضجيج...
- ٢ -
هناك على الجبهة جسد قتيل
تجري تغطيته بالثلوج،
وخوذته التي طارت من رأسه
تتدحرج مدفوعة بالريح...

٣ -

في باحة المصنع
ضياء المصابيح الكهربائية،
إنها تتأرجح ذات اليمين وذات الشمال
معلقة على طرف سلك رفيع.
هناك امرأة.
جيدها عار،
خصلات شعرها الطويلة
وأذيال ثوبها تتطاير
عند باب المشغل...
الرياح صفعت الغلق[1]
سقطت على الأرض قطعة جليد كبيرة
من شبك المشغل....

(١) صفيحة توتياء كبيرة تغلق بها الحوانيت

٤ -

إلى السهول الفسيحة تنحدر العربات مسرعة:
جياد الجر مزدانة بأجراسها حول الأعناق.
إنها تجري نحو البحر في منتصف الليل
وهي تحدث ضجيجاً بقطع المشمّع التي ترتطم بجوانبها

٥ -

أشجار الحور التي غدت خيوطاً دقيقة وطويلة
كانت مضيئة
رغم غياب القمر.
أما أشجار الكستناء الضخمة
ذات الأغصان والفروع
فكانت تتحرك
ـ لم تكن تتأرجح يميناً وشمالاً فقط
بل كانت تغيّر أماكنهاـ
أخشاب كثيرة دون أوراق

كانت ممتدة تحت النجوم المتلألئة
إلى ما لا نهاية . . .
رغم ذلك هناك في الجو
رائحة بشرة انثوية
ودفء بويضةٍ ملقحة . . .
على الجبال بدأ الثلج
بالذوبان .
راح النسغ يتحرك
نحو نهايات الأغصان العارية .
الاخصاب .
نعم الاخصاب والحمل .
الفصل يقترب من الربيع .
ها قد جاء يوم الميلاد
ذلك اليوم الرائع
المملوء بالدفء . . .

٢٣ / ١ / ١٩٤١



شعور غريب

أزهرت أشجار الخوخ
نعم أزهرت،
ـ هذا الصنف من الخوخ
يزهر أواخر الموسم ـ.

حبيبتي،
لنجلس فوق العشب الأخضر
على ركبنا
وجها لوجه.
الأجواء عذبة ومشبعة بالنّور
ـ غير أنها لم تصبح دافئة تماماً بعد ـ
قشر فريك الجوز
شديد الخضرة مكسو بالوبر الناعم.

ما تزال حبات الجوز طرية
يا لسعادتنا!
نحن قادرون على العيش!
كنا قُتلنا بالتأكيد
لو كنت أنت في لندن
لو كنت أنا في طبرق،
أو على ظهر احد الزوارق الانجليزية. . .

حبيبتي،
ضعي يديك على ركبتيك
ـ يا للمعصمين ما أجمل اكتنازهما ما أنصع بياضهما!ـ
أديري راحتك اليسرى
إنها مثل حبة المشمش. . .

ما يقرب من المئة ممن ماتوا
في الغارة الجوية يوم أمس
تقل أعمارهم عنِ الخمس سنوات
أربعة وعشرون منهم رضع . . .

حبيبتي ،
يسلب لبي لون حبة الرمان المتلألئة .
ـ إنها حبة رمان، لا بل لؤلؤة متقدةـ
أحب العطر الذي يفوح من الشمّام
وتأسرني الحموضة المائلة إلى الحلاوة في الخوخ . . . »

. . . . ذات يوم ماطر
بعيداً عن الفواكه وعنك
ـ لا أرى شجرة واحدة وثلج الربيع
كما أن من المحتمل هطول مزيد من المطر ـ
هنا في سجن بورصه
مفعماً بسيل جارف من العواطف الغريبة
أكتب ما أكتب
رغماً عني،
إنه الاصرار والعناد
تجاه نفسي وتجاه أحبائي من بني البشر.

رسالة إلى كمال طاهر

حين أناجي «مالاطيا»
لا يرتسم في مخيلتي إلا حاجباك المعقودان.
المياه المعدنية في بورصه
التفاح في أماسيا
البطيخ والعقارب في ديار بكر،
أما «مالاطيا» حيث أنت
فبأي شيء تشتهر؟
هل تشتهر بصنف من الفواكه؟
أم بنوع من الحشرات؟
هل هي شهيرة بمياهها
أم بمناخها؟
تصوّر أنني لا أعرف شيئاً حتى عن السجن هناك!
غير أنني أستطيع أن أتخيل الآن:

غرفة منفردة
لها نافذة وحيدة:
عالية جداً قريبة من السقف.
أنت هناك
مثل سمكة صغيرة
في إناء من الفخار طويل وضيق.....
قد لا تكون راضياً عن تشبيهي.
وخاصة في هذه الأيام
وأنت أميل إلى أن تشبه نفسك بأسد غضنفر في القفص.
إنك على حق يا كمال طاهر،
ثق أنني أنا الآخر أفعل ذلك،
كلانا أسد لا شك في ذلك،
لا، لست مازحاً،
إننا أكثر عظمة حتى من ذلك.
فنحن انسانان...

لا حاجة لذكر التاريخ الذي نحن فيه
ولا الطبقة التي نمثلها،
فذلك معلوم . . .
غير أن الأمور تبقى هي هي :
قفص حديدي هنا واناء فخاري هناك،
وخاصة في هذه الأيام . . . .
ـ لا أحد مؤهل لأن يعرف ذلك
غير السجين البريء والمرتاح ـ . . .
ما أسعد من يضحك لنكات «امين بك ساريرلي»!
من يستمتع بلذة الكتب والبندورة!
بالنوم رغم أسراب البق
ـ بالملاعق الثلاث من الحلوى ولو مع الكافور ـ

أيا كمال، يا ابن طاهر
ما أورع أن تصلني رسالة منك!
ليتني أسمع صوتك! ليتني ألامس يدك،
ليتني أرى ولو النور المنبعث من طيفك!
إنني ضعيف أمام كل
صنوف الراحة النفسية
سوى الحب الذي اكنه لزوجتي....
هل تسمي ذلك:
حساسية مفرطة؟
لا، ليس كذلك.
مرعب أن تكون عاجزاً عن القتال
قتالاً فعلياً مباشراً
ولو بمقدار رصاصة تنطلق من فوهة البندقية.....

إن من يصاب في المعركة
هو وحده من لا يحس بالألم.
ولعل أسمى آيات الحرية
هي حرية القتال ومتابعة الكفاح.
أحترق من الداخل، يا كمال،
وأحس بالبرد يحيطني من الخارج...
أعتقد أنك تفهم ما أعني
فالكلام الذي أردده الآن،
وأية من الكلمات التي نقولها:
انما هي كلمات ترددت كثيراً
ولا تزال تتردد...

من يدري

كم هو عدد البشر، في الكثير من الأماكن،

الذين يرددون هذه الكلمات

غارقين في بحور الألم وهم يلعنون أيديهم العاجزة العاطلة

تلك الأيدي الموضوعة فوق الركب؟!...

إنك تدرك ما أعني،

ولكن لا بأس من التكرار،

إذن فلأكرر مرة أخرى!...

أهو العزاء الدنيء والخسيس

الذي يأتي من الكلام والتأويل

حين يكون المرء عاجزاً عن الفعل؟

قد يكون الأمر كذلك،
وقد لا يكون. . .
لا، ليس هو كذلك بالتأكيد.
وأي عزاء في ذلك؟! دعك منه بحق السماء!
ليس ذلك يا كمال
إلا نوعاً من الصراخ والزئير،
وأنت تذرع مكانك جيئة وذهاباً،
مرفوع الرأس. . .

خريف
١٩٤١



قصة الشيطان والراهب
في احدى الكنائس الشمالية الفقيرة

طلع الصبح مصحوباً بالمطر باديء الأمر
ثم انتقل فجأة إلى أفق تغمره الشمس.
ما زال الحقل على يسار الطريق مبللاً.
أسرى الحرب بدأوا العمل منذ أمد طويل.
إنهم يغرقون مساكب البطاطا
حليقي الرؤوس والذقون ممتلئين رعباً
وهم يحسون بالكثير من القرف ازاء التربة
- مع أن أكثريتهم من الفلاحين-.
كان رنين الأجراس المنبعث من كنيسة القرية
يذكّر المرءَ بلوحات الألوان المائية الباهتة.

كان يوم أحد.
جميع الرجال في الكنيسة كانوا مسنين
أما النساء فلا،
كان بينهن فتيات ذوات أثداء عامرة
وأمهات لا أثر للشيب في شعورهن الشقراء.
عيونهن كانت زرقاء.
كنّ يحدّقن كابيات
في أصابعهن المكتنزة الحمراء المملوءة جراحاً.
كان العرق يتصبب منهن.
وروائح اليخنة المسلوقة والبخور المحترق تنتشر
في الجو

فوق المنبر كان الأب المحترم
يقرأ «البيان»،
ـ وهو يخفي عينيه ـ.

احدى زجاجات النافذة كانت ملونة.
شعاع الشمس الذي يخترق هذه القطعة الزجاجية
كان واقفا على الرقبة البيضاء الناصعة لاحدى النساء الفتيات
مثل بقعة دم عتيقة.
بين ذراعي مريم تلك التي لم تلد أبداً

تلك التي لا أرداف ولا صدر لها
كان هناك طفل:

طفل كبير الرأس
دقيق الساقين مقوسهما
بالغ الحزن مثير للرعب.
كانت هناك شمعة تحترق أمامهما
لتضيء
خشبة مدهونة
عتيقة
وصلبة.

التمثال الخشبي كان بطول رجلين.
اختبأ وراءه الشيطان
- حاجباه نافران، لحيته مدببة
ربما كان هو مفيستو فيلس بعينه-
وكان يصغي إلى أقوال الأب المحترم
بابتسامة ملؤها الخبث.
«- إننا نحارب في سبيل بقاء أوروبا . »
كان الشيطان يصغي
وكانت الكذبة تُحدِث
عبئاً على لحيته المدبة
وثقلاً لا يطاق
على عقله المتمرد السليم.

كان الراهب يتابع القراءة:

«- نحن أبناء الأقوام الأوروبية

إننا نحارب كتفاً إلى كتف

ولا شك أننا سنزيل من الوَجود

ذلك العنصر المخرّب للحضارة.»

أزاح الشيطان تمثال مريم قليلاً

ورفع يده، محدثاً دوائر سحرية مذهلة

في الهواء

ومدها نحو الراهب

- كانت يداً ضامرة وطويلة،

إنها عظمية وجافة مثل الحقيقة.

كل الذي حصل حصل في تلك اللحظة.
ظهرت المرأة الجالسة تحت الزجاجة الملونة
عارية تماماً في الشمس المتأججة.
أثداؤها كانت مكتنزة
الشعر عند أسفل بطنها كان مشعاً مثل الحرير الأصفر.
سقطت الورقة من يد الأب المحترم
مأسوراً باغواء الشيطان صرخ معلناً الحقيقة:
«- لقد حانت ساعة تحدي الخطر الأكبر.
إننا نحارب
في سبيل الابقاء على الدعارة والفحش،
إننا نحارب من أجل ألا تغلق أبواب دور البغاء.

أنت هناك! . .
يا من تقضين في الخلف
مثل طفل يلتف بثوبه الأبيض
أنت ستصبحين داعرة يا بنيتي.
سيعطونك لقاح الزهري والبرودة الجنسية
في احدى كبريات مدننا.
أبوك لن يعود.
نائم هو الآن على وجهه
فوق أراض بعيدة جداً.
الأذنان المكتنزتان، السميكتان
والرقبة التي اعتدت أن تلفيها بذراعيك
غارقة الآن في بحر من الدم.
إنه ليس وحده هناك.
فالساحة ملآى بالدبابات الواقفة.
وبالعديد من المدافع المهجورة».

أصيب الراهب بالرعب من صوته هو
فصمت.
هناك، في المؤخرة، كانت الفتاة ذات الرداء الأبيض تبكي.
رجل يرتدي سترة مخملية
- حارس غابة المزرعة المجاورة العجوز-
أراد أن يقول شيئاً.
ولكن الشيطان مسّد لحيته المدببة
وقال للراهب: «تابع!»
وعاود الأب المحترم
كلامه من جديد:
«- إننا سنحارب
في سبيل الحفاظ على نظام السوق والسلعة.
لا بد من بيع الفحم والمطاط والأخشاب،
وقوة العمل التي تخلق أكثر من قيمتها.

لا بد من بيع الأقمشة
والبترول
والقمح والبطاطا ولحم الخنزير
والجنة الكامنة في الصوت الطازج المتدفق بغزارة.
لا بد من بيع
الحديقة المغمورة بالشمس والكتب الملآى بالصور
العائدة للطفولة
لا بد من بيع
الطمأنينة والهدوء العائدين للشيخوخة.

لا بد من تحويل كل من
الشرف والرفعة والسعادة
إلى جانب البن المحمّص
لا بد من تحويلها جميعاً إلى سلع معروضة للبيع
تزان وتكال وتقطع لتباع.

إننا نحارب:
عندما ننتهي من الحرب
علينا أن نجعل الجياع والعاطلين والمشوهين
ينامون تحت الجسور
ـ شريط أن تكون صدورهم مزينة بأوسمة الحرب ـ . . »

مرة أخرى سكت الأب المحترم عن الكلام.
ومرة أخرى أمره الشيطان:
«ـ هيا ارو قصته
من كان؟ وماذا أصبح؟ هيا . . »
امتثل الراهب للأمر:
«ـ كلكم تتذكرونه،
مضت طفولته دون فرح
فقيراً
مجداً في العمل
مثل حبة بطاطا مزروعة في التراب.

ثم استيقظ فجأة
عندما اقترب من السابعة عشرة من العمر
بقي على فقره، وعلى جده في العمل.
غير أنه اهتدى إلى الفرح
كما لو كان يهتدي إلى اكتشاف عالم جديد في الأفق
بصورة مفاجئة ذات صباح يغمره الدفء
تحت ظلال الأشرعة المنطفئة
في بحر صاف تماماً
بعد رحلة دامت عدداً من الأشهر. . . .
كان صاحب أجمل صوت في الحي
وكان أمهر عازفي الماندولين.
تذكرتموه الآن أليس كذلك؟
تذكرتم يده المتوردة الكبيرة
تذكرتم صداقته المبسوطة نحوكم
تذكرتم ذلك الوشاح الأخضر الذي كان يحيط
بمندولينه ، أليس كذلك؟ . .

هل أساء لأحد منكم؟
هل جرح شعور واحد منكم؟
هل كذب على أي منكم؟
هل سبق له أن كان مخموراً؟
هل تشاجر مع أحد منكم؟
من منكم يستطيع أن ينكر عليه
احترامه للأطفال
ورأفته بالمسنين؟
ربما كان رأسه يعاني من بعض الغلظة
أما قلبه فقد كان نظيفاً مثل سمكة صغيرة،
ذلك هو الذي أرسلنا إلى الحرب في العام الماضي.
إنه الآن وراء خطوط الجبهة
في واحدة من غرف احدى القرى الرازحة تحت الاحتلال.
منهمك بانتهاك عرض امرأة غائبة عن الوعي
فوق طاولة خشبية.

ظهره عار
بنطاله معلق بركبتيه
خوذته على رأسه
قدماه في حذائين سميكين.
على الأرض جثتا طفلين ميتين
على الركيزة رجل محكم الوثاق.
في الخارج المطر ينهمر
وأصوات المحركات تهدر من بعيد.

ملقياً بالمرأة إلى الأرض
من فوق الطاولة
رفع بنطاله...
إنكم تذكرونه جميعاً،
أليس كذلك؟

تذكرون يده الكبيرة المتوردة الممتدة نحوكم بصداقة
وتذكرون ذلك الوشاح الأخضر.
الذي كان يلف ماندولينه؟»
مرة أخرى سكت الأب المحترم فجأة.
(حين لا تكون الكلمات الخارجة
من فم المرء
عائدة إليه
لا بد من مهارة فائقة حتى يستطيع أن يصمت.)
ولكن الشيطان عاد إلى اصدار أوامره
من خلف تمثال مريم الخشبي، قائلاً:
«أيها الراهب، تابع!»

وامتثل الراهب للأمر:
«- إننا نحارب.
لا بد للجماهير الكادحة
وهي تتناوب على الاتشاح بالقيود الفولاذية،
من أن تصب في الأنفاق البيتونية
المظلمة والثقيلة.
وأنت أيتها العجوز
- في الصف الأول، إلى اليسار، جاثية على ركبتيك
أنت يا من وجهك متجعد مثل ورقة قديمة-
أؤكد لك
أن جد حفيدك الذي يلعب عند باب الكنيسة
- ذلك الطفل الذي هو في الخامسة من عمره
رأسه مكور مثل طابة ذهبية-

نعم زوجك أنت،

وأباه،

أي ابنك

مثل سائر جيرانك

سيعمل في مناجم الفحم.

ينبغي لذلك الطفل أن يتعلم

كيف يعيش

دونما أمل.

لتحقيق هذا الخوف

تحلِّق أسراب قاذفاتنا

حاملة على متنها مقادير كبيرة جداً من الموت

وهي تشد أجنحتها السوداء..

إنها تملأ محركاتها بقليل من الحزن حين تملأها بالبترول

(شيء من قبيل الحزن المتوهم لدى الضحايا)

وتتلاحق أسراب قاذفاتنا
مثل الأمواج العاتية المتتابعة...
إننا نحارب:
عدد قتلانا
- بمن فيهم الرضع من جانبهم
ومن جانبنا نحن
حتى الآن:
حوالى خمسة إلى ستة ملايين.
إننا نحارب:
يجب تحديد مكان كل من الضحايا
بنوع الخام الذي صنعت منه أقمطته.
إننا نحارب:
في سبيل أن تبقى
قضبان السجون متلألئة أبداً
مع أشعة شمس الصباح...»

للحقيقة وجوه عديدة،
في احدى الكنائس الشمالية الفقيرة
لا يستطيع راهب فقير
- ولو باغواء من الشيطان-
أن يرويها بمثل هذا الاطناب.
عناصر المخابرات علمت بالنبأ
- عن طريق حارس الغابة ذي السترة المخملية-
فسارعت إلى المكان وأنزلت الأب المحترم عن المنبر.
وحين كان الأب المحترم
يمشي مخفوراً بحارسين مدججين بالسلاح
على الطريق المعبد بالاسفلت،
رمقه الشيطان من الخلف:
وفي حاجبيه المنتصبين بريق من الأمل
كما في لحيته المدببة مسحة من الحزن.

١٢ / ٩ / ١٩٤١

ملاحظة :

تتمة القصيدة كتبت بتاريخ لاحق ١٧ / ٢ / ٩٤٦

سُحقت ألمانيا .
تم انقاذ الأب المحترم من معسكر الاعتقال .
لو لم ينجذب لإغواء الشيطان مرة أخرى
لأصبح اليوم واحداً من الديمقراطيين الألمان ذوي الشأن
في واحدة من مناطق الاحتلال الخاضعة للآنجلو-ساكسون .
غير أنه استجاب لأغواء الشيطان هذه المرة أيضاً .
مرة أخرى ذات يوم من أيام الأحد وفي الكنيسة نفسها
حين كان يحاول أن يثني على الحلفاء الغربيين
أعاد بعض الفصول من الكلام الذي قاله عام ٤١ حرفياً
ولا سيما تلك التي تتعلق بنظام السلعة .

وبأمر صدر عن ضابط اميركي من الكاثوليك
تم طرد الأب المحترم من الكنيسة
(ولو أنه لم يتعرض للاعتقال هذه المرة).
مرة أخرى رمقه الشيطان من الخلف:
وفي حاجبيه المنتصبين قدر أكبر من الأمل
كما على لحيته المدببة قدر أقل من الحزن...



قصائد ١٩٤٥



ما أروع أن أتذكرك:
بين زحمة أخبار الموت والنصر
في السجن
بعد أن تجاوزت الأربعين من عمري...

ما أروع أن أتذكرك:
يدك المنسية فوق قطعة من القماش السندسي
وفي شعرك
تلك النعومة الفاخرة للتربة الاستانبولية
الكامنة في أعماقي...

إن السعادة المتولدة من حبي لك
هي مثل انسان آخر في داخلي...

صراخ اللحم
الراحة المغمورة بالشمس،
وتلك الرائحة العطرة المتبقية على أطراف الأصابع
التي لامست أوراق الساردونيا:
كل ذلك
في بحر من الظلام الدامس
والدفء
ذلك البحر المظلم المرقط بخطوط حمراء نارية. . .

ما أروع أن أتذكرك،
ما أروع الكتابة عنك!
ما أروع مداعبة طيفك وأنا مستلق على ظهري في السجن!

تلك العبارات التي قلتها
في ذلك المكان، هناك، في ذلك اليوم
لا، لا أقصد العبارات بالذات
إنما طريقتك في لفظها كانت عالماً بذاته.
ما أروع أن أتذكرك!
علي أن أنحت لك بعض الأشياء من الخشب مرة أخرى
علبة ذات سحاب،
خاتم،
علي أن أحيك ثلاثة أمتار من الحرير الناعم
علي أن أنهض من مكاني على الفور
لأقرأ بأعلى صوتي ما كتبته لك
وللبياض الشبيه ببياض الحرية الخضراء
متعلقاً بقضبان الحديد المثبتة في نافذتي...

ما أروع أن أتذكرك!
بين زحمة أخبار الموت والنصر،
في السجن
بعد أن تجاوزت الأربعين من عمري. . . .

١٩٤٥

أشجار الوادي اكتست أحلى ما عندها من حلل
ذهب متلألىء
نحاس أصفر
قطع من البرونز والخشب. . .
قوائم الثيران تغوص في التراب
إنه بالغ الطراوة.
قمم الجبال غائصة في الغيوم
يا لها من غيوم داكنة ومتماسكة! . . .
حسنا،
قد يكون الخريف مولياً هذا اليوم.
أسراب البط البري مرت قبل برهة
ربما كانت متجهة إلى بحيرة ازنيق.
الرياح مسكونة بشيء من البرودة
في الرياح ما يشبه رائحة الهباب:
الرياح مفعمة برائحة الثلج. . . .

أن يكون المرء طليقاً الآن

أن يكون على صهوة جواد يتحدى الجبال!

لك أن أن تقولي: «أنت لا تجيد ركوب الخيل»

ولكن دعك من المزاح وابتعدي عن الغيرة،

فقد اكتسبت مزاجاً جديداً في السجن:

أن أحب الطبيعة حباً يقرب من حبي لك

وإن لم يكن مساوياً تماماً....

كلاكما بعيد... بعيد...

١٢ / ١٢ / ٩٤٥

فجأة بدأ الثلج ينهمر بغزارة في الليل.
ابتدأ الصباح
مع العقبان السوداء وهي تغادر الأغصان البيضاء.
الشتاء يملأ سهول بروصه من أقصاها إلى أقصاها:
ذلك يذكرني باللابداية واللانهاية.
حبيبتي!
تغيّر الفصل
عبر قفزة جاءت بعد سلسلة من التطورات المتناقضة.
أما الحياة فمستمرة
بكل ثقة
وبكل جدية ومهارة
تحت الثلج...

١٣/١٢/٤٥



يا للعنة! لقد حل الشتاء بكل قسوة. . .
من يدري بأية حال أنت واستانبولي الشريفة؟
هل عندك ما يكفي من الفحم؟
هل استطعت أن تشتري ما يلزمك من الحطب؟
لا تنسي أن تلصقي لفافات من ورق الجرائد
عند اطراف الزجاج.
اندسي في فراشك في ساعة مبكرة ليلاً.
أعتقد أنه لم يبق شيء في البيت يمكن بيعه.
التعرض للبرد مع الاحساس بالجوع!
يا لها من حالة!
إنها حالة نحقق فيها أيضاً قصب السبق
في العالم، وفي وطننا، بل وفي مدينتنا. . .

١٤ / ٢ / ١٩٤٥



في هذه الساعة المتأخرة
من هذه الليلة الخريفية
أحس بأنني ممتلىء بكلماتك؛
إنها كلمات أبدية
مثل الزمن، مثل المادة،
عارية مثل حدقة العين،
ثقيلة مثل اليد،
متلألئة مثل النجوم.

وصلتني كلماتك،
كان قطعاً من فؤادك
من دماغك،
من لحمك.
كلماتك حملتك إلي،
إنها: الأم
إنها: المرأة
وهي الرفيق الأوفى أيضاً...
كانت: حزينة، جارحة، فرحة، مفعمة بالأمل،
كانت: كلمات بطلة،
لقد كانت كلماتك بشراً...

٢٠ / ٩ / ٩٤٥

ولدنا مريض،
أبوه في السجن،
رأسك الثقيل متكىء على يديك المتعبتين،
حالنا مثل حال الدنيا. . .
رسالة البشر هي:
أن ينقلوا البشر إلى أيام أكثر جمالاً،
ولدنا سيبدأ،
أبوه سيخرج من السجن،
أعماق عينيك العسليتين ستضحك،
حالنا مثل حال الدنيا. . .

٢١/٩/٩٤٥



افتح الكتاب:
أجدك فيه،
اسمع أغنية:
أراك أمامي.
أجلس لأتناول طعامي:
إذا بك تجلسين قبالتي،
أتحول إلى العمل الجاد:
أجدك أمامي.
هل أنت موجودة في كل مكان؟

لا نستطيع أن نتحدث معاً
كل منا لا يسمع صوت الآخر:
إنك أنت أنت زوجتي المرملة منذ ثمان سنوات . . .

٩٤٥/٩/٢٢



الآن، الآن، هذه اللحظة
ماذا تفعل؟
أهي في البيت؟
أم خارج البيت؟
هل هي منهمكة في العمل، أم مستلقية؟ أم واقفة؟
ربما هي الآن ترفع ذراعها،
- يا وردتي
كم تعرّي تلك الحركة تعرية كاملة
زندك الأبيض المكتنز! . . .

ماذا تفعل الآن؟
الآن، هذه اللحظة بالذات؟
ربما كانت هناك قطة على ركبتها
تمسِّدها.

ربما هي ماشية أو على وشك أن تخطو،
- يا للقدمين الرائعتين اللتين
دأبنا على حملها اليّ في أحلك أيامي! . . .
بم تفكر؟
هل تفكر بي؟
أم أنها . . . من يدري؟
قد تكون مستاءة لعدم نضج الفاصولياء!؟
أهي غارقة في البحث عن أسباب
الشقاء الذي يحيط بأكثر البشر؟

الآن، الآن، هذه اللحظة بالذات،
بم تفكر حبيبتي؟ . .

٢٣ / ٩ / ٩٤٥

وقعنا في اسر،
زجوا بنا في السجن:
أنا داخل الأسوار
وأنت خارجها.
مصيبتنا تهون
لكن الأدهى واشد مرارة:
هو أن ينزلق المرء، بوعي أو بدونه،
إلى منزلق حمل السجن في داخله...
ما أكثر الناس الذين سيقوا إلى هذا المنزلق!
إنهم شرفاء، مجدون، طيبون
مثلما أنت جديرة بحبي لك....

٢٦/٩/٩٤٥



هناك فوق قمة الجبل:
هناك فوق قمة الجبل
سحابة تحمل على أكتافها شمس الغروب.
اليوم أيضاً:
انقضى يوم آخر ناقص النصف بدونك.
بعد قليل ستشتعل
حمراء قانية
سهرات الليالي الحمراء بعد قليل.
عندها تشتد الأجنحة القوية المقدامة
لتحمل في الأجواء فراقنا الشبيه بالبعد عن الوطن...

١/ ١٠/ ٩٤٥



غيرتي عليك

مرة أخرى عدت شخصاً لا يطاق:
ساهداً، عنيداً، لعيناً.
من النظرة الأولى تراني
أشتم وأسب
كما لو كنت أضرب كلباً مسعوراً؛
إنني مكب على العمل هذا اليوم.
ثم تراني بعد قليل
فتجد في فمي أغنية كسولة
مثل سيجارة منطفئة،
إذ ذاك أبقى مستلقياً على ظهري
في اليوم التالي من الصباح الى المساء؛
وتكاد أحاسيس القرف والشفقة
نحو نفسي
تخرجني عن طوري...

مرة أخرى عدت شخصاً لا يطاق:
ساهداً، عنيداً، لعيناً.
مرة أخرى أنا هو المذنب مثل كل المرات.
ما من سبب،
ومستحيل أن يكون هناك أي سبب.
يا له من سلوك مشين!
إنه لسلوك معيب هذا الذي أسلكه.
غير أني مضطر لأن أفعل ذلك
رغماً عني
فأنا أغار عليك
هلّا عذرتني؟!...

٢ / ١٠ / ٩٤٥

الرياح تعصف وتمر،
حتى غصن الكرز ذاته
لا يهتز مرتين لذات الريح.
الطيور تتناغى فوق الشجرة:
الأجنحة تواقة لأن تطير.
الباب مغلق:
إنه يتوق لمن يفتحه عنوة.
أنا تواق اليك:
أريد للحياة أن تكون
جميلة، وفية، وحبيبة مثلك....
أعرف جيداً أن موعد
زيارة البؤس لما تنته
غير أني واثق من أنها منتهية...

٤/ ١٠/ ٩٤٥



كلانا نعرف، حبيبتي؛
فقد علّمونا:
كيف نجوع
كيف نتحمل البرد،
كيف نتعب حتى الموت،
كيف نصبر على الفراق.
حتى الآن لم نضطر لأن نَقْتُل
ولم نتعرض للقتل (كما لم نتعرض لاختبار
تجرع كأس الموت قتلاً)

كلانا نعرف، حبيبتي،
يمكننا أن نعلّم:
كيف يكون النضال في سبيل شعبنا
كيف يكون مزيد من الحب مع كل يوم جديد
كيف يكون الحب أنقى وأصفى يوماً بعد يوم..

٥ / ١٠ / ٩٤٥



لسحب تمر: إنها ثقيلة ملأى بالأخبار.
الرسالة التي لم تصل بعد تتجعد في راحتي.
القلب على ذؤابات الأجفان
وداعاً أيتها الأرض الممعنة في رحيلها.
لو أطلقت صرختي المدوية قائلاً:
«بيرايا! بيرايا»
لما تأخرت...

٦ / ١٠ / ٩٤٥



النداءات البشرية مرت ليلاً
فوق البحار المكشوفة
على أجنحة
الرياح العاصفة.
لا يزال التجوال فوق البحار المكشوفة
محفوفاً بالمخاطر في الليالي. . .
هذا الحقل لم ير سكة الفلاحة منذ ست سنوات،
آثار جنازير الدبابات باقية على حالها.
تلك الآثار ستختفي هذا الشتاء
تحت الثلوج.
آه، يا نور عيني!
مرة أخرى عادت الهوائيات إلى الكذب:
من أجل أن يحقق تجار عرق الجباه
أرباحاً تبلغ مئة بالمئة.
غير أن الذين عادوا من ولائم عزرائيل
انما رجعوا من هناك ممتلئين تصميماً وعزماً. . .
٩٤٥/١٠/٧



ليلة البارحة دخلتِ أحلامي :
كنت تجلسين عند ركبتي .
رفعت رأسك، أدرت نحوي
عينيك العسليتين الواسعتين .
رحت تطرحين حزمة من الاسئلة .
شفتاك المبللتان كانتا تتحركان
تتفتحان وتنطبقان
غير أنني لم أكن أسمع صوتك .

في أعماق الليالي، هناك في مكان بعيد،
تدق الساعة كما لو كانت بشارة نبأ مضيء .
وفي الأجواء وشوشة اللابداية واللانهاية .

يتناهى إلى سمعي:
حفيف جناحي كناري الجميل داخل القفص الأحمر
أغنية ولدي «ممو»، ووشوشة البذور النامية
دافعة تراب الحقل المحروث،
هتافات انتصار العدالة يطلقها جمهور كبير.

شفتاك المبللتان ظلتا على الدوام
تنفصلان وتلتئمان
غير أنني لم أكن قادراً على سماع صوتك...

أفقت عصبي المزاج.
وجدتني غافياً فوق الكتاب.
ورحت أفكر:
هل كانت كل تلك الأصوات صوتك أنت؟

٩/١٠/٩٤٥

حين اتأمل عينيك
أحس برائحة أرض تغمرها الشمس،
وأضيع
في حقل للقمح، بين أمواج الزرع. . .
عيناك:
هوة لا قرار لها محفوفة بالآلىء السندسية
مثل المادة الأبدية الدائبة على التغيّر دون توقف.
عيناك:
هوة لا قرار لها
تكشف باستمرار عن سرّ جديد
لكنها غير مستعدة
أبداً لأن تستسلم استسلاماً كاملاً. . .

١٠/١٠/٩٤٥



عند خروجنا من باب القلعة لمواجهة الموت،
عندما نلتفت لنلقي النظرة الأخيرة على المدينة،
سنكون، يا حبيبتي، قادرين على الصراخ بالهتافات التالية:
«ـ ولو لم نستطع أن نجعل وجهك يضحك بما فيه الكفاية
فقد بذلنا ما بوسعنا
في سبيل أن نجعلك سعيدة،
إن المسيرة المنطلقة نحو السعادة مستمرة
فالحياة مستمرة.
مطمئنو البال نحن
نحس في جوفنا بالشبع من خبزك الحلال.
في عيوننا سحابة حزن بسبب ابتعادنا عن نورك،
أتينا وها نحن ذاهبون
كوني سعيدة يا مدينة حلب...»

١٨ / ١٠ / ٩٤٥



تفاحة نصفها نحن
ونصفها الآخر هذا العالم الفسيح.
تفاحة نصفها نحن
والنصف الآخر أبناء شعبنا.
تفاحة نصفها أنت
والآخر أنا
إنها نحن الأثنين...

٢٧ / ١٠ / ٩٤٥



بقايا الروائح الزكية من شجيرات العطر،
صخب أمواج البحر المتلاطمة،
ها قد حل الخريف
بغيومه الممتلئة وتربته العاقلة...

حبيبتي،
بلغ العمر قمة كماله.
يخيل لي أنه
ربما كنا شهوداً على أحداث ومغامرات
جديرة بمن عاش ألفاً من السنين.
غير أننا ما نزال
طفلين عيوننا مبهورة
نركض حفاة تحت الشمس يداً بيد...

٢٨ / ١٠ / ٩٤٥



أدعوك لنسيان أشجار اللوز المزهرة.
علينا ألا نبالي
علينا ألا نحلم بما يستحيل تحققه
في هذا السجن.
جففي شعرك المبلل في الشمس:
ولتتألق الأشعة القوية المبللة
بنشوة الثمار الناضجة...
حبيبتي، حبيبتي،
نحن في
فصل الخريف...

٥/١١/٩٤٥



صوتك الناضج والمبلل
جاءني
ماراً فوق أسطحة مدينتي البعيدة
وتحت بحر مرمرة،
عبر أراضي الخريف الواسعة

ذلك حدث خلال ثلاث دقائق.
وبعد؟ عاد الهاتف أسود فاحماً
عاد أخرس. . .

٨/١١/٩٤٥



رياح الجنوب الأخيرة
بدأت تهب صاخبة دافئة
مثل الدم المتدفق من العروق.
أصغي إلى الرياح:
تباطأ الخفقان.
هناك على قمة الاولو داغ
هناك ثلج في الأعالي
أما وادي الكرز
فقد غط في نوم بالغ الروعة
وهناك فوق أوراق الكستناء الحمراء ترى الدببة.

في السهل بدأت أشجار الحور
تتعرى من ثيابها
أمهات شرانق القز توشك على الرحيل
إلى مشاتيها،
الخريف أوشك على الرحيل هو الآخر،
والأرض تستعد لنومة الحبل.
ونحن سنمضي شتاء آخر، مرة ثانية:
ونحن نستمد الدفء
من حقدنا العظيم
ومن آمالنا المقدسة...

١٢/١١/١٩٤٥

يقولون: بؤس استانبول
غير قابل لأن يوصف،
يقولون: الجوع سحق الشعب سحقاً،
يقولون: مرض السل يصل إلى الركب.
يقولون: صارت أماكن الحرائق
وزوايا دور السينما مأوى الفتيات الصغيرات. . .

٠

. . . .

أخبار سوداء تأتي من مدينتي البعيدة:

مدينتي استانبول الحقيقية

مدينة الناس الشرفاء الكادحين الفقراء،

إنها، يا حبيبتي، حيث تعيشين

إنها تلك المدينة التي أحملها على ظهري

داخل كيسي، في قلبي مثل الحنين الى الابن الطفل

اينما حللت وفي أي سجن سجنت

إنني أحملها في عيني مثل صورتك أنت. . .

١٣/ ١١/ ٩٤٥

مع أنك ترى بعض القرنفلات هنا وهناك
فقد تمت فلاحة الأراضي المهيأة للزراعة الشتوية
ها هم ينثرون البذور.
وها هم يشتلون أشتال الزيتون.
من جهة يلجون بوابة الشتاء،
ومن جهة ثانية يجهزون الحفر لأشتال الربيع.
أما أنا
فنائم في بورصه مثل سفينة راسية
مملوءة بالشوق إليك
ومثقلة بنفاد الصبر الناتج عن الأسفار الطويلة...

٢٠/١١/٩٤٥



أخرجي من الصندوق ذلك الفستان
الذي كنت ترتدينه حين التقينا أول مرة،
ارتديه ومرّي،
كوني مثل أشجار الربيع.
اشكلي القرنفلة التي أرسلتها في الرسالة من السجن
في شعرك،
ارفعي جبهتك العريضة
تلك الجبهة البيضاء المختلطة بالتجاعيد الجاذبة
للقبل،
في مثل هذا اليوم
لا يجوز لزوجة ناظم حكمت أن تكون حزينة مهيضة
الجناح،
لا، ذلك مستحيل،
في مثل هذا اليوم
ينبغي لزوجة ناظم حكمت أن تكون رائعة الجمال
كواجدة من بيارق الثورة...
٤/ ١٥/ ٩٤٥



ثُقب قعر المركب،
شرع الأسرى بتحطيم قيودهم.
هذا الذي يعصف هو ريح هوجاء.
لا بد له من قذف الزورق فوق الصخور.
هذا العالم سيغرق، سفينة القراصنة هذه ستغرق،
ذلك مؤكّد ولا مرد له.
ونحن يا بيرايا سنبني
عالماً مفعماً بالفرح مشرقاً بالأمل، حراً
مثل جبينك أنت يا بيرايا. . .

٥/ ١٢/ ٩٤٥



العدو

- ١ -

إنهم أعداء الأمل يا حبيبتي ،
نعم ، أعداء
المياه الجارية
والأشجار المثمرة اليانعة
والحياة المتدفقة المتطورة .

ذلك لأن الموت طبع بصماته
على جباههم :
ـ هم مثل الأسنان المنخورة ، هم مثل اللحم المهترىء .
إنهم محكومون بالانهيار إلى غير رجعة .
عندئذ ، يا حبيبتي ، سوف ترين بكل التأكيد
ملائكة الحرية تحوم في اجواء
بلادنا
مرتدية أحلى أزيائها
متلفعة ثياب العمال . . .

٦/١٢/٩٤٥

العدو

- ٢ -

رجب : تاجر الأقمشة في بورصه
عدو لحسن عامل التسوية في معمل قارابوك ،
للمرأة الفقيرة خديجة من الريف ،
للعامل الزراعي سليمان ؛
إنه عدوك أنت ، عدوي أنا ،
عدو لكل انسان يفكر ،
الوطن ، يا حبيبتي ، هو وطن هؤلاء الناس ،
والتجار هم أعداء الوطن . . . .

٩٤٥/١٢/٧



رباعيات

«هذه الجنة، هذه الأرض الطرية، هذه الروائح العطرة،
وهذه الليلة المقمرة
ستبقى مشعة متلألئة حتى بعد رحيلي،
لأنها كانت موجودة قبل أن آتي وبعده دون أن ترتبط بي.
وما هذا الذي أعسكه إلا صورة عنها...

إيه يا جلال الدين! ذلك الذي رأيته كان عالماً واقعياً،
لم يكن سراباً،
إنه عالم لا متناه وليس صنيعة خيال مريض للرسام،
أمّا أروع رباعياتك المتبقية من جسدك المتقد
فلم تكن تلك التي تبدأ بـ «وهم وسراب...»....

زنودنا أغصان مثقلة بالثمار،
والعدو دائب على تحريكنا ،
حتى يلملم دونما تعب،
إنه لا يضع السلاسل على اقدامنا ،
بل يصفع بها رؤوسنا.

حبيتبي ما أسعد الذي يستطيع دحر الكذب.
في القلب، في الكتب، في الشوارع،
بدءاً من هدهدات الأمهات وحتى الأنباء
التي يقرأها المذيع،
ما أروع أن نفهم الماضي والذي سيأتي!

مستحيل أن أنام معانقاً صورتك الباقية معي
رغم أنك هناك موجودة بعظمك ولحمك في المدينة،
رغم أن فمك الأحمر الذي حرمت من رحيقه،
وعينيك الواسعتين موجودتان فعلاً،
بل أن استسلامك مثل استسلام السيل الجارف
وبياضك الناصع موجودان
ولكني عاجز عن ملامستك...

لثمت شفتي وقالت:

«هذي شفاه حقيقية مثل الكون
«وهذا العطر هو الربيع المتطاير من شعري لا من ابتداعك
«سواء راقبتها في كبد السماء أو داخل عيني
«فإن النجوم موجودة.وإن عجز العميان عن رؤيتها»...

الفراق يقترب يوماً بعد يوم،
وداعاً أيها العالم الجميل
وأهلاً بك
أيها الكون الفسيح!

أنت أيها الانسان
إما أن تكون حبيباً موِلهاً أو عدواً لدوداً
إما أن تتعرض للنسيان التام كأنك لم تكن،
أو أن تبقى حاضراً في الأذهان كل لحظة.

انبلج نور الصباح تماماً،
صار شفافاً مثل بركة ماء حط قذاه في القاع،

لقد أصبح الجو مغموراً بالنور.

النور من كل جانب
كما لو كنت التقيتك وجهاً لوجه بصورة مفاجئة،

يا حبيبتي! . . .

العمر يمضي، اغتنم الزمن،

احذر النوم إلا عند الضرورة،
أملأ الخمرة الياقوت في القدح الشفاف،

طلع الصبح أفق أيها الشاب! . . .
أفاق الشاب غرفته كالثلج دون ستائر،
على أزيز صفارة المعمل الشبيه بعواء الذئاب،

تلك الصفارة التي لا تقبل التأخير.

١٩٤٥



قال الخيام: «املأ كأسك خمراً قبل أن يمتلىء تراباً»
ورد عليه الرجل الحافي:
«إنني محروم من نعم هذا العالم التي تفوق نجومه عدداً
«نقودي لا تكفي لشراء رغيف من الخبز فكيف الخمر..»

احتساء الخمرة في حديقة ملأى بالزنابق، تحت القمر
مع التفكير بالموت وبأن العمر قصير مغلفاً
برداء عذب من الحزن...
مثل ذلك الحزن العذب لم ننعم به منذ الولادة:
نحن في حي متطرف، في منزل فاحم السواد،
في الطابق الأرضي...

أنا واحد من الناس.
أنا الشاعر التركي ناظم حكمت،
أنا ممتلىء ايماناً من قمة الرأس إلى أخمص القدم
ممتلىء نضالاً، حباً،
وأملاً من قمة الرأس إلى أخمص القدم...

أنا المذيع، لقد تحدثت،
صوتي ثقيل وعار مثل بذرة:
- إنني أعلن عن مواعيد ساعة قلبي
فالناقوس سيقرع عند الفجر...
من يدري ربما ما كنا لنحب بعضنا كل هذا الحب
لو لم يراقب أحدنا روح الآخر من بعيد.
من يدري ربما لو لم تفرقنا الأقدار
لما أصبحنا على هذه الدرجة من القرب...

١٩٤٥

قصائد ليلة ٩ـ ١٠

ـ ١ ـ

أجمل البحار:
ذلك الذي لم يزره أحد بعد،
أجمل الأطفال:
ذلك الذي لم يكبر بعد،
أجمل أيامنا:
تلك التي لم نعشها بعد.
أحلى الكلمات التي وددت قولها لك:
هي تلك التي لم أقلها بعد.

ـ ٢ ـ

تهاويت على الأرض ورحت أتأمل التراب،
أحدق في الأعشاب،
أمعن النظر في الحشرات،
أنظر إلى الأغصان المكسوة بالأزاهير الزاهية.
أنظر إليك يا حبيبتي،
يا من تشبهين الأرض الربيعية.

مستلقياً على ظهري أرقب صفحة السماء،
أتأمل أغصان الشجر،
أتابع أسراب البجع الطائرة،
أراك أنت، حبيبتي،
يا من تشبهين صفحة السماء الربيعية.

مشعلاً ناراً في البراري ليلاً، ألامس النار،
ألامس الماء،
ألامس القماش الحرير،
ألامس الفضة.
ألامسك أنت، حبيبتي،
يا من تشبهين النار المتقدة تحت النجوم.

أنا محاط بالناس، إنني احبهم.
أحب الحركة.
أحب الفكر.
أحب نضالي،
أحبك أنت، حبيبتي،
فأنت انسان في قلب نضالي.

- ٣ -

الساعة ٢١
صفير البوق غمر الساحة،
ها قد أوصدت أبواب المهاجع،
طالت مدة السجن هذه المرة
٨ سنوات!
الحياة مفعمة بالأمل يا حبيبتي،
الحياة:
مسألة بالغة الجدية مثل حبي لك.

- ٤ -

جميل أن أفكر بك
ذلك يبعث على الأمل،
إنه أشبه بسماع أجمل الأغنيات
يصدح بها أجمل الأصوات في الدنيا. . .
غير أن الأمل وحده لم يعد يكفيني،
حرفتي أن أنشد الأغاني
لا أن أبقى أستمع إليها فقط.

- ٥ -

قلّما أحزن على ما فات
- باستثناء تلك الليلة الصيفية -
فحتى آخر ومضات عيني الزرقاوين
تحمل اليك بشرى الأيام المقبلة.

- ٦ -

«الخلية ملأى بالعسل»
أعني: عيناك مغمورتان بالشمس...
عيناك، حبيبتي، عيناك غداً ستصبحان تراباً
في حين سيبقى العسل مستمراً يملأ
أعـداداً جديـدة من الخلايا...

- ٧ -

أمنا الطبيعة ستعلن ساعة الانصراف ذات يوم
قائلة:
«لقد انتهى الضحك والبكاء يا ولدي!»
وستعاود الحياة التي لا ترى
ولا تتكلم
ولا تفكر
دورتها اللامحدودة.

- ٨ -

حبي لك، حبيبتي،
يثير في أعماقي سعادة
مثل سعادة التنفس العميق في غابة الصنوبر
مثل سعادة غرس الأسنان في تفاحة مكتنزة تكاد تنفجر
في يوم شتوي شفاف كبلور ناصع لا خدش فيه.

١٩٤٥

الفهد والحور

لننزل إلى ساحة
المبارزة
ايسوب لافونتين وأنا،
ولنر من منا. نحن الأثنين
أبلغ في رواية القصص ذات العبر!؟

احدى القطط البيتية
لم تكن رشيقة إلى أبعد الحدود، ولم تكن كبيرة،
لم تكن بيضاء كالقطن، ولا من السامور،
بل من نوع الفهود
في الوقت نفسه كانت راضية بحياتها وغير راضية
كانت راضية بموقد السيدة وبالطعام
وبعقدها المصنوع من الخرز الأزرق،

غير أن يدي السيد الدائبتين على مداعبتها
أصبحتا بعد الآن عاجزتين
عن جعل شعر ظهرها ينتصب
أي أن هذه الحركة غدت عديمة المعنى.
كان صعباً أن تعيش القطة الفهدية دون حب
فأحبت شجرة حور باسقة.
شجرة الحور عتيقة وعليلة
غير أنها مع ذلك ممشوقة القد ذات هيبة
تهتز وترتجف مع النسيم
أضف إلى أنها كثيرة الشعر
وتمثل ذكراً من عالم آخر.
القطة الفهدية تغامر قائلة:
«حبيبي شجر الحور كثيف الشعر!
السمك عاجز عن تسلق الحور
أما أنا فسأتسلقك، وأجيد ذلك.

لا يهمني الجوع والبؤس
لن يؤثر فيّ البرد والثلج
ما دمت معك.
وتبدأ الرياح تعصف بالحور
وتصبح أغصان القمم عاجزة عن الثبات
في أعلى شجرة الحور العجوز،
ذلك كلام، ماذا تستطيع أن تفعل؟
وشجرة الحور لا تستطيع أن تمشي....
وبينما الأمر على ما هو عليه
يخطر للسيد صاحب القطة الفهدية
أن يلعب لعبته:
يترك القطة في الشارع ذات ليلة عاصفة
قائلاً لها: «هيا اذهبي إلى عشيقك الحور!»
وما أن تذوق القطة طعم برودة الليل
حتى تسارع إلى البيت في ساعات الصباح الأولى.

يا لسعادتها!
كانت المدفأة وعقد الخرزات الزرق في انتظارها.
أما الحور فيبقى مشدوهاً
لا حول له ولا قوة مثل «منجيرة» أبو علي..
استخلص الآن العبرة اللازمة
من هذه الحكاية الثمينة!

خذوا العبر!
عِبر هذه القصة كثيرة!
يمكن للمرء أن يطمح إلى انجاز عظائم الأمور،
هذا أولاً،
شريط أن يكون مثل القطة الفهدية،
وثانياً،
بعد الأربعين من العمر يفقد الانسان كثيراً،
وثالثاً ورابعاً وثامناً،
لن نطيل في تكرار الأرقام والأعداد
لأن هذا يمكن أن يصل بنا
حتى الأربعين.

١٩٤٥



مشهد في الربيع

يتقدم مثل حيوان كسيح على أربع في الحقل
زاحفاً على ركبتيه ومرفقيه
سحب حمالة رشاشه الى رقبته .
يداه متسختان وكذلك وجهه .
ظهره طويل يوحي باليأس

تحلل الجليد منذ شهر
وتدحرجت كبريات الكتل محدثة الكثير من الضجيج
تجر منها الأنهار نحو البحار الدافئة
ثم هطلت أمطار غزيرة وذلك قبل ١٥ يوماً

وفجأة ، ليلة أول أمس
تفرقت السحب ،
وتلألأت النجوم على حين غرة ،
واقتربت كثيراً من الناس
حتى بتَّ قادراً ، لو مددت يدك ،
على اشعال سيجارتك

يزحف فوق الأرض المبتلة ،
أنفه ينزف .
لم يبق لبلوغ النهار ، سوى ساعة
ولكن الجو مغمور بنور كما لو كان الليل لن يعود أبداً .
أيتها الأجنة في الماء والتراب
وداعاً لنومك الطويل !
أنجبت الديدان ،
وعما قريب ستمر رفوف البط البري

من الجنوب الى الشمال ،

استطال شعر لحيته
ورأسه تحت خوذته الثقيلة كان متعباً بالسنين
مثل نبتة عتيقة
لم تعد له أية علاقة بالأعمال البشرية ،
ولكن أسنانه كانت شابة وبيضاء نظيفة
مثل أسنان الذئب .

كانت الرياح محملة بالوعود
ومثقلة بالعهود كانت الأرض
وكانت الحياة شيئاً سعيداً حتى بالنسبة للضفادع .
يا للضفادع ، كم هي ناعمة ورشيقة !
وما أعظم الفرح الذي يملأ أفواهها الكبيرة
وأفخاذها الدقيقة
إنها تلعب طليقة فوق الأرض البليلة .
وفجأة ، توقف ذو القوائم الأربع
ونظر إلى الضفادع اللاهية ،
سالت دماء أنفه فوق مخزن الرشاش ..

ربيعا كان الموسم يا حبيبتي ، ربيعاً ،
وليكون المرء سعيداً
كان كل شيء موجوداً على الأرض ،

في الهـواء ، في الماء ، يا حبيبتي ،

كل شيء جاهز ،
كل شيء موجود .

١٩٤٥

في غمرة حزننا الكبير

بدأت الخماسينات الاخيرة بهبوبها
حارة وصاحبة مثل دماء تنزف بغزارة من الشرايين .
أصغي إلى الريح :
فأجد نبضها قد خف . .
على قمة الجبل الكبير[1] هناك الثلج
وفي سهول الكرز نامت الدببة
نوماً عميقاً هنيئاً رائعاً فوق الأوراق المحمرّة .
وفي قلب الوادي تتعرى أشجار الحور .
وبيوض ديدان القز توشك أن ترحل إلى مشاتيها ،
الخريف انتهى ، أوشك على الانتهاء ،
والأرض تكاد تغرق في نومها الواعد بالحمل . . .
أما نحن فسنمضي شتاءاً آخر :
غارقين في حزننا الكبير
نستدفيء نيران أملنا المقدس . . .

١٩٤٥/١١/١٢

(١) هو اسم الجبل الشاهق المطل على مدينة بورصه



الخريف

رغم انك تعثر على بضع قرنفلات في الأصص هنا وهناك
فان فلاحة العفير في الوادي قد أنجزت من زمن ،
وها هم يبذرون الحبوب
ويدأبون على غرس أشتال الزيتون ،
من جهة يجري استقبال الشتاء
ومن جهة ثانية يتم تجهيز الحفر لأشتال الربيع ،
أما أنا ممتلئاً شوقاً اليك
ورازحاً تحت وطأة نفاذ الصبر من جراء طول السفر
أنام مثل قارب شحن راسي في بورصه . . .

١٩٤٥

قصائد ١٩٤٦



ليلاً والثلج يصل الى الركب

بدأت قصتي عندما انتزعوني عن المائدة
ذات ليلة كان الثلج فيها يصل إلى الركب،
ودفعوا بي إلى سيارة الشرطة
ثم نقلوني بالقطار
حتى أوصلوني إلى الغرفة التي سُجنت فيها.
انقضى منذ ثلاثة أيام تسع سنوات على ذلك التاريخ.
على النقالة الممدة في الممشى
رجلٍ يلفظ انفاسه الأخيرة
فاغراً فمه إلى أقصى مداه
مستلقياً على ظهره،
وحزن قضبان الحديد الطويلة على وجهه.
البياض والوحدة قادمان،
- ما أقبحهما! إنهما أشبه بما عند المجانين والموتى-
في البداية: ستة وسبعون يوماً
وجها لوجه مع الباب المغلق أمامك بعدوان صارخ،

ثم سبعة أسابيع كاملة
في أعماق عنبر أحدى السفن.
غير أننا لم يهزم
فقد كان رأسي
شخصاً آخر يقف بجانبي.
لقد نسيت تقاطيع وجوه الأكثرية تماماً،
ولست أذكر سوى ذلك الأنف الطويل جداً
والدقيق جداً،
كان كل اهتمامهم لدى قراءة الحكم
الصادر بحقي منصباً على:
أن يكونوا وقورين.
لقد أخفقوا، لم يكونوا كذلك.
كانوا أكثر شبهاً بالحوائج
منهم بالبشر

كانوا حمقى متعجرفين
مثل ساعات الجدران،
وكانوا حزانى وبائسين مثل القيود والسلاسل وما إليها. .
مدينة دون شوارع ودون منازل.
أطنان من الأمل وأطنان من الحزن والهموم،
ومن الدواب التي تمشي على أربع لا وجود إلا للقطط.
إنني في عالم الحرمان:
محرم علي:
أن أشم وجنة الحبيبة.
محرم علي:
أن أتناول طعامي مع أطفالي على المائدة نفسها.
محرم علي:
أن أغلق مظروف الرسالة التي أكتبها
أن أستلم رسالة قبل تمزيق المغلّف.

محرم :
ان ألعب النرد.
أما الأشياء الوحيدة التي يمكنك أن تحتفظ بها في القلب
لا لأنها غير محرمة، بل لأنك قادر على اخفائها،
فهي : أن تحب، أن تفكر، وأن تفهم.

في الممشى على النقالة توفي الرجل.
اخذوه.
لم يبقى أثر لا للأمل ولا للحزن،
لا للخبز ولا للماء،
لا للحرية ولا للأسر،
لا للحرمان من المرأة ولا للسجان،
ولا للبق،
ولا لتلك القطط التي تجلس امامك لتحدق
في وجهك.
لقد انتهت هذه المسألة.

غير أن قضيتنا ما تزال مستمرة،
ما زال رأسي منهمكاً بالحب والتفكير والفهم.
ما زالت الحرقة الناتجة
عن عدم القدرة على النضال مستمرة.
ومنذ الصباح آلام الكبد المبرحة مستمرة...

١٩٤٦



حول الموت

تعالوا اجلسوا أيها الأصدقاء
أهلاً وسهلاً،
أعلم أنكم
تسللتم إلى زنزانتي عبر النافذة
وأنا نائم،
لم تقبلوا زجاجة الدواء ذات العنق الدقيق
ولا تلك العلبة الحمراء.
وقفتم فوق رأسي ممسكين بأيدي بعضكم
وقد غمرت أشعة النجوم وجهوكم.

يا للغرابة!
كنت أظنكم موتى.
وأشعر بالكثير من الأسف
لأنني، أنا الذي لا أومن بيوم القيامة أو بالله،
عاجز عن أن أقدم لكم ولو حفنة من التبغ مرة أخرى.

يا للغرابة!
كنت أظنكم موتى.
تسللتم إلى زنزانتي عبر النافذة،
فتفضلوا واجلسوا أيها الأصدقاء
أهلاً بكم وسهلاً!

أنت يا هاشم يا ابن عثمان،
لم تسدِّد تلك النظرة الغريبة إلى وجهي؟
ألم تكن أنت من عداد الموتى يا أخي؟
فيما كنت تحمل الفحم إلى احد المراكب الاميركية في ميناء استانبول؟
ألم تسقط أنت وكيس الفحم
إلى قاع العنبر؟

رافعة السفينة كانت قد أخرجت نعشكم
قبل الانصراف
وكان رأسك الأسود
مصبوغاً بدمك القاني.
من يدري مدى الألم الذي احسست به؟

لماذا أنتم واقفون؟ اجلسوا أيها الأصدقاء!
لقد تسللتم إلى زنزانتي عبر النافذة
رغم أني كنت أظنكم موتى
وجوهكم مغمورة بأنوار النجوم،

أهلاً وسهلاً!

مرحبا،

أنت أيها القروي الريفي يعقوب!

ألم تكن، أنت الآخر، ميتاً؟

ألم تكن أنت الذي دفنت في تلك المقبرة

المحرومة من الأشجار في ذلك الأصيل الحار

مورّثاً البرداء والجوع لأطفالك؟

أم أنك لم تمت في الحقيقة؟

وأنت

أيها المحرر أحمد جميل؟

لقد رأيت بأم عيني

نعشك حين ووري التراب،

ذلك النعش الذي كان أقصر قليلاً من طولك.

دعك من ذلك يا أحمد جميل،

ـ أما زلت على عاداتك القديمة؟

تلك زجاجة للدواء

وليست قارورة خمر.

ما أكثر ما كنت تشرب!

بغية نسيان العالم في جو الوحدة

بغية الحصول على خمسين قرشاً في اليوم!

لقد ظننتكم في عداد الموتى،
وها أنتم فوق رأسي
تفضلوا واجلسوا أيها الأصدقاء
أهلاً بكم وسهلاً!

قال أحد شعراء العجم:
«الموت عادل
« يصيب الشاه والفقير بالوقار نفسه»
ما سبب حيرتك ياهاشم بن عثمان؟
الم يسبق أن سمعت، يا أخي،
عن موت أحد الشاهات في عنبر احدى السفن
بجانب كيس من الفحم؟

شاعر من العجم قال:
«الموت عادل!»
ما أروع ابتسامتك يا يعقوب!
لا أذكر أن وجهك علته مثل هذه الابتسامة
طوال وجودك على قيد الحياة.

شاعر من العجم قال:
«الموت عادل. . .»
هلّا تركت الزجاجة من يدك يا أحمد جميل!؟

عبثاً تحتدون أيها الأصدقاء.
أعرف
أنكم تقولون:
حتى يكون الموت عادلاً
لا بد للحياة من أن تكون عادلة.

١٩٤٦



رسالة شعرية

أخي ،
ابعثوا بالكتب ذات النهايات الجميلة إلي
فلتهبط الطائرة بسلام على مدرج المطار ،
وليخرج الطبيب مبتسماً من غرفة العمليات ،
ولتنفتح عينا الطفل الكفيف ،
وليتم انقاذ الشاب لحظة تنفيذ الاعدام رميا بالرصاص ،
وليلتق العشاق فجأة
دون زهد بالأعراس الصاخبة .
ليلتق العطشى بالمياه الوفيرة
والخبز بالحرية .
أخي ،
أرسلوا لي كتباً تنتهي نهايات جميلة
فما تتنبأ بها تلك الكتب المتفائلة هو الذي سيتحقق
عاجلاً أم آجلاً أيضاً . . .

١٧/ ٣/ ١٩٤٦



حلم ابراهيم

رأيت الحبيبة في الحلم ،
كانت تمشي بين الغمام مثل القمر
عارية الصدر.
هي تمشي، وأنا أمشي
ثم أقف، وهي تقف،
أنظر اليها، وهي تنظر إلي.
قطرات الدموع حبة اثر حبة
تتساقط فوق أسلاك الهاتف.
سلك الهاتف: يعني النبأ
الدموع: تعني الفرح.
ابراهيم مستعد أن ينام في السجن عشر سنوات أخرى
شريطة أن يكون حلمه حلماً يبشر

•

١٩٤٦

قصائد ١٩٤٧



حول لوحة «الربيع» للفنان ابراهيم بلابان

هلا رقصت فرحاً يا عيني وأنت تستمتعين بفن بلابان!؟
ها نحن وقت السحر في شهر أيار.
ها نحن في بحر من النور:
نعم النور العاقل الجريء الطري الحي
الذي لا يرحم.
ها نحن أمام الغيوم:
إنها خصل متطايرة مثل القشطة.
ها نحن أمام الجبال:
إنها مكسوة بالخضرة، مغمورة بالندى.
انظري إلى قوافل الثعالب في رياضتها الصباحية
وهي تجر الأنوار في ذيولها الطويلة
وألوان القلق مرتسمة على أنوفها المدببة.....

هيا استمتعي يا عيني
برؤية ذلك الذئب
الجائع حتى الموت
ذي الشعر المنتصب مثل الشوك
ذي الفم الأحمّ
وحيداً على احدى القمم
الم تحسي أبداً ساعات الصباح
بذلك الجوع المماثل لجوع الذئب؟

هيا ارقصي فرحاً واستمتعي يا عيني
برؤية الفراشات، والنحل
وتلك المجموعات المتألقة من فراخ السمك
انظري إلى تلك البجعة
العائدة لتوها من مصر،
انظري الى تلك الغزالة الرشيقة
إنها من مخلوقات عالم أجمل.
هيا أنظري واستمتعي يا عيني:
ذلك الدب أمام الوكر
ما يزال كسولاً من النعاس.
ألم يسبق أن فكرت
بأن تعيشي ذاهلة تنهمكين بشم الأرض
مثل الدببة؟
أن تعيشي بالقرب من العسل والأجاص والرطوبة الصدئة
بعيداً عن اصوات البشر، وعن النار؟

هلا رقصت فرحاً يا عيني وأنت تنظرين
إلى السناجب والأرانب
إلى القنافذ والسلاحف،
ها هو حمارنا بعينيه الشبيهتين بحبات العنب.

هيا انظري إلى تلك الشجرة المكسوة بالزهر
إنها أكثر الأشياء قرباً من جمال الانسان...

ها هو المرج الأخضر،
هلا درجتما عليه يا قدمي العاريتين!

وأنت يا أنفي شمّ واستمتع
روائح العطر والنعناع!
وأنت يا أنفي أما سال لعابك
أمام هذي الثمار اللذيذة؟!

أناجيكما أيتها اليدان: المسا، ربّتا، اغرفا
ها هو حليب أمي،
ها هو لحم امرأتي،
ها هي ضحكة فلذة كبدي،
ها هي الأرض المحروثة...

هلّا رقصت فرحاً يا عيني وانت تنظرين؟
ها هو الانسان:
سيد الجبال والصخور والذئاب والطيور،
ها هي احذيته،
ها هي الرقع الملصقة بنعليه،
ها هو المحراث الروماني القديم،
ها هو زوج ثيرانه
الحزن باد على مؤخرتيهما
ذاتي التجاويف المخيفة...

١٩٤٧



في عهد السلطان عبدالحميد

أبي لم يمض عشر سنوات من الخدمة العسكرية في اليمن
ويقال إنه كان من الباشوات، أي من كبار الموظفين،
أما أنا فقد انقلبت على طبقته،
وأمضيت في السجن تسع سنوات
- وحيداً هذه المرة-
في عهد الجمهورية حيث اللغة المختلطة الهجينة،
ليس واضحاً بعد
مقدار الزمن الذي ستتطلبه
خدمة هذا الوطن!.

١٩٤٧



بتروغراد ١٩١٧

«كيرنسكي» هناك، في قصر الشتاء،
وهنا في «سمولني» مجالس الشعب ولينين،
الشوارع مغمورة
بالظلام،
بالثلج،
تلفها الرياح،
إنها مزدحمة بالثوار.
هؤلاء الثوار يتذكرون جيداً ما قاله لينين:
«أمس كان مبكراً، غداً يكون قد فات الوقت!
فالوقت الملائم هو:
اليوم، الآن!»
ردُّهم كان: «نعم، فهمنا فحوى كلامك!»
لم يسبق لهم أبداً أن فهموا ما فهموه
بمثل هذه الروعة والكمال.

أمواج الرياح العنيفة تعصف فوق الثلج.
وأمواج الثوار
مع الحراب العائدة من الجبهة
مع الشاحنات الثقيلة، والمدافع الرشاشة،
مع شحنات الحسرة والأمل والشوق المقدس،
بعيون تخترق الظلام، تتعاقب؛
إنهم يتقدمون نحو قصر الشتاء!
ها هو البشلفي «كبروق» من ناحية «بوتيلوفسكي»
يهيب بهم قائلا:
«- إنه ليوم عظيم أيها الرفاق!
نعم يوم عظيم!
إنني أحذِّر أولئك الذين قد يخطر أن ينهبوا،
فقصر الشتاء بل روسيا كلها أصبحت بعد الآن
ملكاً للعامل والفلاح».

رياح عاصفة،
ثلوج كثيفة،
ظلام دامس.
الثوار يتقدمون
متسللين بمهارة الظلام
وبشجاعة مثل شجاعة الرياح.
إنهم يتقدمون نحو قصر الشتاء.
عامل التسوية سيرجي الأعرج يقول:
«يا لهذه الدنيا! يا للأقدار...»
لقد سرت على هذا الطريق عام ٩٠٥
وأنا في العاشرة من عمري.
كان القس غابون ذو الشعر الطويل،
مع العجائز، والأطفال الحفاة
رافعين في المقدمة صور العذراء ذات العيون الحزينة.

وخلفنا كانت جموع البشر وأمواج الرياح.
أمامنا هناك في تلك النافذة الحمراء،
كان قيصر جميع الروس
ينظر الينا ممتقع اللون ملتفاً بردائه الأسود.
فيها النساء ركعن أرضاً منتحبات،
وأنا هممت أن أرفع يدي لأرسم اشارة الصليب،
فوجئنا بجحافل فرسان القوزاق تنقض علينا.
القوزاق كانوا جواداً عملاقاً جامحاً وقلبقاً فاحم السودا.
تساقط الأطفال وهم يتصايحون
مثل عصافير الدوري على الأرض،
وحافر أحد الجياد سحق عظمة ركبتي بحدوته».
سيرجي الأعرج مجرجراً ركبته
يزحف مع الثوار متقدماً نحو قصر الشتاء.

رياح عاصفة
ثلوج كثيفة،
الظلام الدامس هو الطاغي على المنظر.
عينا ايفان بتروفيتش الفلاح
الآتي من الجبهة البولونية
تخترقان الظلمة مثل عيون القطط.
يسيل لعابه فوق لحيته الحمراء ويقول:
«لك أن تفرحي يا ماتوشكا،
فقد أصبحت الأرض في حقيبتنا
مثل اوزة خضراء الهامة»
المشهد مغمور بالظلام
تلفه الرياح العاصفة
تغطيه الثلوج الناصعة.
في الميناء «أورورا» ذات المداخن الثلاث.
قصر الشتاء أطلق النار.

قطعان اليونكر ذوو الخدود الحمراء
والعاهرات الشقراوات البدينات،
جميعهم فتحوا النار مختبئين وراء الأعمدة.
وعامل التسوية سيرجي الأعرج
سقط على الأرض على ركبته المسحوقة
قائلاً: «يا لهذه الدنيا! يا للأقدار..!
من الذي سينتقم من كيرنسكي؟»
أما الفلاح ايفان بتروفيتش العائد
من الجبهة البولونية
فمنهمك باطلاق نيران رشاشه
مغموراً بسيل من الحماس
وعيناه الشبيهتان بعيون القطط تمسحان الأرض النظيفة الدسمة
في الأقاصي
عبر الظلام
فيما لعابه يسيل فوق لحيته.

قصر الشتاء ذلك المشاد بالآجر الأحمر
يترنح في غمرة الرياح العاصفة.
ها هو البلشفي كيروف يقول:
«أيها الرفاق! إننا نحن طبقتي العمال والفلاحين
جنباً إلى جنب مع الجيش الأحمر
نصنع تاريخاً، إننا نعلي مشعلاً مضيئاً.
هيا بنا ننطلق، هيا بنا نهاجم!»
وفيما كان جليد نهر النيفا يصطبغ باللون الوردي
اقتحم الثوار قصر الشتاء
كانوا مغمورين بنشوة كنشوة الأطفال
كانوا شجعاناً مثل الريح العاصف.

وقت السحر من ذلك الفجر
تغيّرت أقدار الحديد والفحم والسكر
أقدار النحاس الأحمر
أقدار سائر المنسوجات
مصائر الحب والظلم والحياة
مصائر جميع فروع الصناعة
أقدار روسيا الصغرى والكبرى والبيضاء
مع اقدار القفقاس وسيبريا وتركستان
مع مصائر ضفاف الفولغا الحزينة
وأقدار سائر المدن.
حدث ذلك الصباح
حين داس الثوار بأحذيتهم المغطاة بالثلج
مخترقين حجاب الظلام
أدراج ذلك السلّم الرخامي.

١٩٤٧

منذ دخلت السجن

منذ أصبحت في السجن
دارت الأرض عشر مرات حول الشمس.
اسألوها، تقل لكم:
«إنها مدة لا تذكر
تكاد لا ترى بالمجهر!»
اسألوني أنا، أقل لكم:
«سنوات عشر من عمري».
حين أصبحت في السجن
كان معي قلم رصاص.
ذلك القلم انتهى خلال اسبوع واحد.
اسألوه، يقل لكم:
«إنه العمر كله!»
اسألوني أنا، أقل لكم:
«لا يليق بنا أن نتحدث عنه
إنه مجرد أسبوع واحد!»

عثمان المحكوم بجريمة قتل،
خلال فترة وجودي في السجن،
ادمل سنواته السبع والنصف وخرج
ولبعض الوقت تجوّل خارج السجن،
نم عاد إلى السجن ثانية بسبب التهريب،
حرج ثانية بعد ستة أشهر،
وبالأمس وصلت رسالة تقول إنه تزوج
و إ نه ينتظر مولوداً في الربيع.

إن النطف التي سقطت في أرحام الأمهات
بوم دخلت السجن
غدت أطفالاً في العاشرة من العمر.
إن صغار الخيل المرتجفة ذات القوائم الطويلة الناحلة
من امهار ذلك العام،
اصبحت جياداً قوية ذات صهوات مريحة
منذ أمد بعيد.

غير أن أشتال الزيتون الصغير
ما تزال أشتالاً
ما تزال طفلة صغيرة.

منذ دخلت السجن
فتحوا العديد من الساحات الجديدة في مدينتي البعيدة
أهلي وأقاربي رحلوا
إلى بيت لم أره،
إلى شارع لا أعرفه.

كان الخبز طرياً كالقطن
ناصع البياض
عام دخولي السجن.
ولكنه بعد ذلك أصبح خاضعاً للتقنين.

،هنا في السجن صار السجناء
،يقاتل بعضهم بعضاً
في سبيل مقنن فاحم السواد بحجم الكف.
مع أن الخبز تحرر ثانية من نظام البطاقة
فإنه أسمر وغير مستساغ.

حين دخلت السجن
لم تكن الحرب الثانية قد بدأت بعد،
لم تكن الأفران في معسكر داشاو قد اشعلت،
ولم تكن القنبلة الذرية قد ألقيت على هيروشيما.

سال الزمان كما لو كان دم طفل ذبيح،
رسمياً، انسدلت الستارة على ذلك الفصل،
والدولار الاميركي منهمك في البحث عن حرب ثالثة.

غير أن أشعة نور الصباح،
رغم كل المصاعب،
استطاعت، منذ دخولي السجن،
« أن تتسلل عبر الظلمات
وتلتف عليها»
وها هي الجماهير تهم بالنهوض
مسندة أيديها القوية إلى حجارة الأرصفة الباردة.

منذ دخلت السجن
دارت الأرض عشر مرات حول الشمس.
وما زلت الآن أكرر،
بالحماس نفسه،
ما كتبته عن الجماهير
حين دخلت السجن:

«إنني أكتب من أجلهم
من أجل الذين هم بكثرة نمل الأرض،
وسمك البحار،
وطير السماء،
إنهم جبناء وشجعان
جهال وحكماء
إنهم أطفال،
إنهم القاهرون المنتصرون
إنهم المبدعون،
اولئك وحدهم هم أبطال القصص
في أغنياتي وأناشيدي».
وإلا،
لكان مكوثي في السجن
سنوات عشر
عبثاً في عبث..

١٩٤٧

دون كيشوت

أيا فارس الشباب الخالد
في عامك الخمسين تناغم ما يخفق بين أضلاعك مع عقلك ،
فخرج ذات صباح تموزي بحثا عن
الجميل والصادق والعادل :
في مواجهتك العالم الشرير بكل عمالقته الحمقى
ونحتك روزينانتي الحزين ولكن البطل ،
أنا أعرف ،
وخاصة عندما تقع في بحر العشق الخالص النقي ،
بقلب ممتليء أوقية كاملة من أربع مئة درهم ،

فلا مناص يا دون كيشوتي أنا ، لا مناص
من الدخول في صراع مع طواحين الهواء ..

إنك لعلى حق ،
لا شك أن دولسينيانك هي أجمل نساء العالم
وأنك ، بالتأكيد ، ستصرح بهذه الحقيقة جهاراً على مسمع التجار ،

وهم سيهزمونك وسيطردونك
مع رفسة نظيفة على مؤخرتك
غير أنك أنت ، يا فارس عطشنا الذي لا يقهر
ستبقى مضيئا مثل شعلة :
داخل جلدك الحديدي السميك
ودولسينيا ستزداد جمالاً اكثر من ذي قبل . . .

١٩٤٧

عاشقكم شيوعي

عاشقكم شيوعي
سجين منذ عشر سنوات
يقيم في قلعة بورصه .
يقيم هناك ، غير أنه حطّم قيوده
يقيم هناك ، وقد بلغ أعلى المراتب
يقيم هناك ، في قلعة بورصه .
جذوره في تربة الوطن
يحمل صليبه مثل بدر الدين
وينام في قلعة بورصه
هو مستعد أن ينام في قلعة بورصه

دون أن ينضب معين أغانيه
دون أن تضيع منه جنته .

١٩٤٧



نحن

يجلس وحده في أحد الابراج
أمامه ملايين الأزرار على الجدار
وما أن يضغط على أحدها
حتى يبادر واحد منا إما إلى رفع ذراعه
أو إلى ارتكاب جريمة قتل
أو يسارع إلى دورة المياه.
المرابي يتاجر بالأكفان
ونحن نتاجر بالأوطان.

نحن نعدم الفكر بالرصاص
حذار من أن تفكر
حتى في كونك لا تفكر.

عندنا نوع من الدواء
ما أن نحقنه في الشخص
حتى نجعله يقول ما نريد.
نحن نأكل لحم الانسان
إنه شهي إذا كان مطبوخاً مع الحمص.
نحن مولعون بالكرابيج ذات النهايات الرصاصية.
علّق قبعتك على الباب
وادخل
ونم مع نسائنا
فنحن حين نرى القبّعة
نقفل راجعين كي لا نقلق راحتك.

أطفالنا
يحملون أختاماً على مؤخراتهم
تتم تربيتهم في دور الدعارة.
قبل أن تندس في الفراش
اقلب الوسادة وافحص المكان
فقد يكون أحدنا متسللاً إلى هناك.

ألم يكسف الشمس منذ بعض الوقت؟!
هذا العمل التخريبي الذي قمنا به
بقوة الدعاية والتحريض، أليس كذلك؟!
إن أفضل حل هو:
أن تشنقونا
أن تلقوا بنا في السجون
أن تقضوا علينا بالقنابل الذرية.

١٩٤٧

الطاهر وقضية الزهري

لا يعيبك أن تكون طاهراً ولا أن تصاب بداء الزهري
كما أن الموت بسبب الهوى ليس معيباً هو الآخر،
فالمسألة كلها تكمن
في أن تقوى على تجرع كل من
الطهر والزهري،
إنها تكمن في القلب.

اعيبٌ أن يموت المرء
وهو يقاتل خلف أحد المتاريس
أو في طريقه لاستكشاف القطب
أو وهو يختبر مدى تأثير احدى اللقاحات على نفسه؟!



لا يعيبك أن تكون طاهراً ولا أن تصاب بداء الزهري
كما أن الموت بسبب الهوى ليس معيباً هو الآخر.

تحب العالم بكل ما أوتيت من قوة

اما هو فلا يدري بالأمر،
أنت لا تريد أن تفارق الدنيا
ولكنها ستفارقك،
اعني:
هل من الضروري أن تقع التفاحة في حبك
لأنك تحب التفاح؟!
اعني:
لو لم يقع الزهري في حب الطاهر
أو لو لم يحب أبداً
فما الذي كان الطاهر سيفقده من طهره؟!

لا يعيبك أن تكون طاهراً ولا أن تصاب بداء الزهري
كما أن الموت بسبب الهوى ليس معيباً هو الآخر.

١٩٤٧



اللعنة

عصافير الدوري على أسلاك الهاتف
يا لها من مخلوقات مسكينة لا تعرف شيئاً عن الهاتف
ليتني أرى أجسادكم ملفوفة بالأكفان
فقد جعلتم ابناء قومي
مكفوفين وعيونهم مفتوحة!

١٩٤٧



الهراء

المقبرة ملأى بالموتى
والقدح مملوء بالعرق.
وهم يقولون «نحن أيضاً ممتلئون»
نعم، هم ممتلئون
حتى الجمام ولكن
بالهراء والثرثرة.

١٩٤٧



الكلام

يتعفن الكلام في الفضاء
إذا لم يكن مأخوذاً من التراب
إذا لم يكن موغلاً في أعماق التراب
إذا لم يكن ماداً جذوراً قوية في التراب .

١٩٤٧



أرنب سقط من القمر

بزغ الفجر مع ظهور الأرنب
خطرت لي فكرة مرت بدم قلبي
ذلك الآخر مسح عرقه بكم سترته
سالت دماء قلبي لتملأ راحتي
ذلك الآخر فحصني من قمة الرأس حتى أخمص القدم
ضغط على البنزين بقوة
وداس الأرنب الساقط مع القمر،
سحقه على اسفلت الطريق.

١٩٤٧



رباعية

أتذكر يحي كمال أمهر الشعراء العثمانيين:
أتخيله بدينا مضطرباً في احدى الواحات.
ثم أتذكر فجأة دونما سبب محدد:
بايرون الأعرج الذي مات على جبال اليونان.

١٩٤٧



رباعية

مع الاعتذار سلفاً إذا بدوت مبالغاً في التفاخر
أقول:
إنني اخترقت السنوات العشر من سجني
مثل الرصاصة الثاقبة.
وإذا تركنا آلام الكبد جانباً
فإن قلبي على حاله، كما أن رأسي كما تعهدونه.

أرسلوا لي كتباً تنتهي نهايات سعيدة.
ولتهبط الطائرة رغم تحطم أجنحتها
سليمة على المدرج؛
وليخرج الطبيب من غرفة العمليات ضاحكاً،
وليبصر الطفل الكفيف!
ليجر انقاذ النصير لحظة تعرضه للاعدام رمياً بالرصاص،
لتأت تلك الرسالة المنتظرة منذ عشر سنوات
محمولة على أجنحة الطيور؛

ليتخاطف الناس مؤلفات الشاعر ودواوينه،
ليلتق الأحبة
ولتعقد الأفراح وحلقات الدبكة،
لتتم تلبية جوع الناس
للخبز والورد والشمس والحرية!
ارسلوا لي كتباً تنتهي نهايات سعيدة،
ذلك لأنني واثق
من أن معركتنا البطولية
ستتكلل بالظفر والسعادة،
مثلما هي نهايات الروايات المتفائلة.

١٩٤٧

رباعية

طالما أنت تحب
وبمقدار ما تحب
وطوال استمرارك في اعطاء كل شيء لمن تحب
وبمقدار ما تعطي ، أنت شاب .

١٩٤٧



حول الـ «اولو داغ»*

سبع سنوات في مواجهة الاولوداغ
لا هو يتحرك من مكانه،
ولا أنا،
غير أن كلاً منا يعرف الآخر معرفة وثيقة.
إنه، في الحقيقة، مثل كل الكائنات الحية،
يعرف كيف يضحك وكيف يغضب.
أحياناً،
وخاصة في الشتاء، لا سيما أثناء الليل،
وبشكل أخص عندما تهب الرياح القوية
القادمة من الجنوب
ينتفض، هازاً بعنف غابات الصنوبر
المكللة بالثلوج
والفسحات الجبلية، والبحيرات المتجمدة،
من خلال نومه العميق،
انتفاضة بالغة العنف،

حتى أن الناسك الجالس هناك على القمة
ينحدر الى الوادي وهو يصرخ ويولول
مسوقاً بالرياح
لحيته مبعثرة
أذيال جبته تتطاير كالبيارق. . .

واحياناً أخرى،
وخاصة في شهر أيار ساعات السحر
يتعالى متشامخاً مثل عالم جديد كل الجدة
عالم حر سعيد
عالم أخضر وفسيح،
عالم كبير لا نهائي. . .

وفي أيام أخرى،
يغدو شبيهاً تماماً
بصورته المرسومة على زجاجات الكازوز . .
عندئذ أفهم أن السيدات اللاهيات برياضة التزلج
في ذلك الفندق الشهير الذي لم أزره،
قد غرقن في ممازحة السادة المتزلجين .

وقد يأتي يوم يشهد
احد سكانه الجبليين ذوي الحواجب السوداء الكثيفة
ذلك الذي يرتدي سروالاً أصفر
قادماً الينا
لينام خمسة عشر عاماً في المهجع ٧١
بعد أن ذبح جاره
عند المحراب المقدس للملكية .

بورصه
١٩٤٧

الأولوداغ : الجبل الكبير ترجمة **Uludag** وهو اسم الجبل الشاهق المطل على مدينة بورصه



رجل حسود

يا لك من حسود!
كيف لك أن تغار
من الطائر المجنح في السماء؟

مؤكد أن الحسد قد أعماك!
وإلا فما معنى رغبتك في أن تصبح ماء؟
وإن كان مقبولاً أن يطمح المرء إلى التشبه بالرياح؟!

يا لك من حسود!
ألا يكفيك أنك شاعر
حتى تتوق لأن تصبح قمحاً؟!

١٩٤٧



المرارة

هل هذه المرارة عندي
وليدة الشوق لأن أكون في الأماكن التي لم أرها
في هذه الأيام الشتوية المشمسة ؟
فوق البحر في استانبول مثلاً ؟
بين عمال التراحيل في أضنة مثلاً ؟
بين جبال سيونـان في الصين مثلاً ؟
عند أنف
ذلك الذي لم يعد يحبني مثلاً ؟
أم أن كل هذا ما هو
إلا واحدة من ألاعيب روحي ؟
أيكون أحد الأحلام
هو الذي أوقعني في هذه الحالة ؟
أم أن العزلة انقضت علي مرة أخرى مثل الكابوس ؟
أم أن الامر ناتج
عن كوننا أسندنا السلم على الخمسين ؟

هذا الألم عندي
هذا الفصل الثاني من الألم عندي
لا بد له من أن يرحل عني وهو يمشي

على أطراف أصابعه
كما أتاني !

يكفيني أن أنتهي مما أكتب ،
يكفيني أن تردني رسالة واحدة ،
أو أن أسمع خبراً في الراديو . . .

١٩٤٧

عينا أميرتي عسليتان . . .

عينا أميرتي عسليتان و
فيهما أزقة خضراء
وفوق صفحات الذهب نقوش خضراء
اخوتي ، ما هذه المهارة في الفن !
سنوات تسع مضت ويدي لم تلمس يدها
شخت أنا ههنا
وهي شاخت هناك

فتاتي يا ذات الرقبة الممتلئة البيضاء المتجعدة ،
يستحيل أن نصاب نحن بالشيخوخة
لا بد من العثور على عبارة أخرى لوصف ارتخاء اللحم ،
فأن يشيخ المرء :
يعني أن يصبح عاجزاً عن حب غيره .

١٩٤٧



أغمضت عينيّ

أغمضت عيني
أنت موجودة في الظلمة ،
نائمة على ظهرك في الظلمة ،
جبينك وذراعاك مثلث ذهبي في الظلمة .
محبوبتي أنت تحت جفني المسدلتين ،
تحت جفني المسدلتين مهرجان أغنيات
والآن يبدأ هناك بك أنتِ يبدأ كل شيء
والآن لا أذكر شيئاً قبل عهدي بكِ
فكل شيء يخصك أنتِ .

١٩٤٧



كيف يستطيع المرء أن يبكي
دون أن يحس بذلك في الأعماق ؟
كيف يستطيع المرء أن يبكي
دونما خجل
علناً
مثل المطر ؟

لقد اعتدتَ هكذا
أعماقك تبكي دماً ووجهك يضحك
وتستريح مثل النصب الحجري
يا ولدي ما أصعب البلوغ !
ما أصعب بلوغ مرحلة البكاء مثل الأمهات !!

١٩٤٧

قصائد ١٩٤٨



حول الحياة (١)

الحياة لا تقبل المزاح
فلا بد لك من أن تعيشها بكثير من الجد
مثل سنجاب مثلا ،
أي دون انتظار أي شيء خارج الحياة وبعدها ،
أي أن الحياة ذاتها ستكون شغلك الشاغل .
لا بد لك من أن تنظر إلى الحياة كقضية جدية ،
إلى درجة عالية جداً
لك أن تموت من أجل الناس مثلاً
يداك موثقتان خلفك ، وظهرك إلى الجدار ،
أو في سترتك البيضاء ونظاراتك السميكة في المخبر
كل ذلك من أجل الناس الذين لم تتعرف عليهم
ولم يسبق لك ان رأيت وجوههم ،
ودون أن يكون أحد قد أجبرك على هذا أيضا
وأنت تعرف بأن الحياة
هي الأجمل وهي أكثر الأشياء واقعية .
١٩٤٨



حول الحياة (٢)

لنقل إنك مريض
مرضاً خطيراً
وتحتاج إلى عملية جراحية ايضاً .
وان احتمال وفاتك ، عدم الشفاء ،
احتمال وارد الآن وأنت ممدد على
سرير العملية الجراحية في احدى المشافي . . .
حتى لو استحال ألاّ تحس بشيء من الكدر .
بسبب رحيلك قبل الأوان
فأنت ستضحك من النكات البكتاشيه* حين تسمعها ،
وستطل من النافذة لمعرفة ما إذا كان الجو ماطراً ،
أو أنك ستنتظر أخبار الاذاعة
بفارغ الصبر . . .
لنقل إنك على الجبهة
لنقل إنك ذهبت للقتال دفاعاً عما هو جدير بالموت في سبيله

من الممكن ، في الهجوم الأول ، في ذلك اليوم
أن تموت ووجهك إلى الأرض
ونحن نشحذ حقدنا على أولئك ليصبح أكثر حدة ،
غير أنك ستبقى قلقاً حتى الجنون
حول ما ستؤول إليه الحرب التي قد تطول سنين . . .

لنقل إنك في الحبس ،
وعمرك قريب من الخمسين
وعليك أن تنتظر ثمانية عشر عاما آخر حتى يفتح باب الحديد .
ومع ذلك ، فانك ستعيش مع ما هو في الخارج ،
مع الناس ، مع الحيوانات ، مع الصراعات ، مع الرياح ،
أي مع كل العالم خلف الأسوار
ذلك يعني أنك ، حيثما كنت وكيفما كنت
ستعيش وكأنك لن تموت أبدا . .

* طريقة دينية مشهورة في عهد العثمانية

حول الحياة (٣)

هذا العالم سيبرد
ويعود كوكبا بين النجوم
وهو من أصغرها كما تعلمون
فعالمنا الكبير الكبير
ليس إلا نقشة على قطعة من المخمل الأخضر
هذا العالم سيبرد ذات يوم
بل وسيغدو كومة من الجليد
أو يتدحرج مثل حبة جوز فارغة
لا مثل سحابة ميتة
لا نهائية في الظلام الدامس .

ومنذ الآن عليك أن تتحمل الألم الناجم عن هذا
والاحساس بالحزن الذي يترتب عليه من الآن ،
هكذا سيكون حبك هذا العالم
حتى تستطيع أن تقول : لقد عشت !

١٩٤٨



هكذا إذن يا اسماعيل لاز[١]

في قلب النور المتقدم كنتُ ،
يداي شرهتان ، والعالم جميل ،
عيناي لا تشبعان من الأشجار
والأشجار بالغة التفاؤل عظيمة الخضرة ،
هناك خلف أشجار التوت طريق تغمره الشمس
وأنا في الشباك باستراحة السجن .
لا أشم روائح الأدوية
فلا بد أن يكون القرنفل متفتحا هنا أو هناك .
وهكذا يا اسماعيل لاز
ليس المهم أن تقع في الأسر
انما المهم هو أن لا تستسلم !
أشجار الباحة تتلألأ بنشاط هائل
قطع من الذهب مبعثرة
قطع من النحاس
والبرونز والخشب

قوائم الثيران تغوص في التربة الطرية
والحبال تنغمس في الضباب
الرصاصي
شديد الكثافة .

تمام
ربما انتهى الشتاء اليوم
فأسراب البط البري مرت بسرعة منذ برهة
ربما كانت ذاهبة إلى بحيرة أزنيق .
في الجو شيء
في الجو شيء بارد له رائحة الهباب
في الجو رائحة الثلج .
أن تكون طليقاً الآن
أن تسوق حصانك باتجاه الجبال بسرعة

لا تقل :

« أنت لا تجيد ركوب الخيل ! »

دعك من المزاح ، اياك والغيرة !

فقد اكتسبت عادة جديدة في السجن :

انني أحب الطبيعة حباً قريباً

من حبي لك ولو لم يكن مساويا له تماما

وكلاكما بعيد عني . . .

[1] اسماعيل بيلن ويعرف باسم لاز اسماعيل وكان أمين عام الحزب الشيوعي التركي .

١٩٤٨



حول القرن العشرين

ـ حبيبتي!
لو ننام الآن
لنستيقظ بعد قرن من الزمان..
ـ لا! زمني لا يخيفني،
أنا لست هارباً.
زمني هذا سافل دنيء
زمني هذا مخجل،
ولكنه أيضاً شجاع،
عظيم،
وبطل.
لم أحزن أبداً لقدومي إلى هذا العالم مبكراً.
أنا من أبناء القرن العشرين،
وفخور بأنني كذلك.

يكفيني
أن أكون حيث أنا في القرن العشرين
أن أكون في جبهتنا نحن،
اقاتل من أجل عالم جديد. . .

- حبيبتي.
بعد قرن من الزمان. . .
- لا! بل أبكر من ذلك
رغم كل شيء.
إن هذا القرن العشرين،
المحتضر هنا، المولود هناك،

قرني العشرين هذا بأيامه
الأخيرة الجميلة،
سيكون بالتأكيد باهراً ومغموراً بالشمس
مثل عينيك أنت يا خديجتي، يا حبيبتي،
(إنه ليلي الرهيب الذي سينتهي
بالكثير من الصخب والضجيج مع انبلاج الفجر).

١٩٤٨



اللقاح

كان الحقل جاهزاً:
لحمه الأسمر المائل إلى السواد عار تماماً
كان الحقل جاهزاً:
شفتاه المكتنزتان المبللتان انفلقتا
ولم يطل الانتظار،
البذور سالت كحشرات صغيرة عند الفجر.

انتفضت التربة في نشوة
امتصت البذور السائلة
متقلصة حينا
متمددة حينا آخر.
ثم عادت إلى حالتها الأولى
متعرقة منتفخة
ممتلئة بالنشوة
وكانت هذه المرة أكثر جمالاً.

لها أن تزهو الآن قائلة:
أنا أقوى من الموت!
إنها حامل!

انطلقت أسراب النحل نحو الشمس.
العذراء في المقدمة، إنها الملكة الجديدة.
أجنحتها الشفافة الدقيقة تحدث طنيناً أشبه بالمناغاة.
تكاد تنفصل نصفين من فرط دقة الخاصرة
بطنها المغطى بالأهداب الذهبية محاط بأحزمة حمراء ثلاثة.
أقوى الذكور لحق بها واعترض الطريق،
هناك في الأعالي قريباً من الشمس،
اختلطت سيقانهما الناحلة الشائكة.

استغرق اللقاح ثانية واحدة،
انتفضت الأنثى وتحررت،
أما الذكر
فهوى من الأعالي إلى الأرض
مع نتف اللحم المقتطعة من اعماقه.
نافذة غرفتها مفتوحة على الغابة
الغابة نائمة تحت غمامات الربيع الكثيفة
إنها طازجة، ندية ودافئة مثل مفاقس البيوض.
سهام النور المنبعثة من عيني المرأة
تصطدم بوجه الرجل في الأعلى.
فجأة هطل المطر غزيراً على الغابة.
أغمضت المرأة عينها الشهلاوين.
أسنانها الناصعة المبللة تطل من فمها المفتوح نصف فتحة
المطر انهمر مدراراً دافئاً حتى وصل الى أعمق أعماقها.

يسيل النهر كما لو كان شرياناً ينبض
الشجرة واقفة بثمارها المرة وأغصانها الشائكة
الأرض البور والأماكن القاحلة كذلك.
لمع نصل الفأس مثل أغنية تحت الشمس
انفلق جذع الشجرة من الوسط،
كان المقطع عجوزاً أسمر مبللاً،
وكاد ينزف دماً أيضاً. . .
فُتح الشق بسكين التلقيح.
ودُس رأس قلم اللقاح هناك.

ههنا
في هذا الجذع البري المبتور
يكمن بشير
العالم الجديد الجديد
ذلك العالم المزدان بأغصان دون أشواك
بثمار لذيذة قشورها رقيقة
بأوراق كبيرة وفسيحة.

١٩٤٨

يوم الأحد

اليوم أحد،
للمرة الأولى أخرجوني إلى الشمس هذا اليوم،
وقفت دون حركة
ذاهلاً، للمرة الأولى في حياتي،
اما كون السماء بعيدة عني إلى هذا الحد
فسيحة إلى هذا الحد
زرقاء مثل هذه الزرقة الصافية،
ثم جلست على الأرض برفق واحترام
وأسندت ظهري إلى الجدار.

هذه اللحظة: الأرض والشمس وأنا
غارقون في السعادة،
ما من شيء يبعث على الحزن،
لا مجال للتفكير بالحرية
أو بزوجتي.

١٩٤٨



المشعل

لحظة انبلاج النور من بين قرون ثيراننا
أتابع حرث الأرض بأناة مغموراً بمشاعر العزة
والتربة تحت قدمي الحافيتين ندية ودافئة.

أسمع حفيف الأوراق العريضة لأشتال السبانخ،
أطرق الحديد حتى الظهر،
ثم تغوص الظلمة في بحر من الدم القاني.
عند الأصيل أغرس أشتال الزيتون
خضرة أوراقها أجمل من كل خضرة،
رأسي، وجهي، جسدي كله يغرق في بحر من النور.

عندي زائر كل مساء بالتأكيد
أبوابي مشرعة تماماً
لاستقبال جميع الأغاني.

ليلاً أغوص في الماء حتى الركب
لأسحب الشباك من البحر
ملأى بخليط من النجوم والسمك.

لقد أصبحت خبيراً
بأمور الدنيا وأحوالها
غدوت مرجعاً يُسأل عن:
الانسان والأرض
عن الظلمة والنور.

لعلك أدركت يا حبيبتي أنني
مغمور بالعمل،
فلا تعيقيني بالكلام يا وردتي،
إنني مشغول بحبك.

١٩٤٨

كنّ ست نساء أمام بوابة الحديد،
خمساً جلسن على الأرض، السادسة واقفة؛

كانوا ثمانية أطفال أمام بوابة الجديد،
واضح، أنهم لم يتعلموا بعد كيف يبتسمون.

كن ست نساء أمام بوابة الحديد.
واضح، أنهم لم يتعلموا بعد كيف يبتسمون.

كن ست نساء أمام بوابة الحديد،
أقدامهن صابرة، أيديهن ملأى بالحزن،

كانوا ثمانية أطفال أمام بوابة الحديد،
بعضهم في الأقماط ينظرون كالعفاريت.

كن ست نساء أمام بوابة الحديد،
خبأن خصلات شعرهن باحكام؛

كانوا ثمانية اطفال أمام بوابة الحديد،
أحدهم أسند راحتيه الى البوابة.

دركي واحد أمام بوابة الحديد،
لم يكن صديقاً، ولا عدواً؛ الحراسة طويلة والجو حار.

بغل واحد أمام بوابة الحديد،
يكاد يبكي.

كلب واحد أمام بوابة الحديد،
أنفه اسود، كسوته صفراء.

سلال القصب كانت ملأى بالفلفل الأخضر،
الأكياس ملأى بالفحم والبصل والثوم.

كن ست نساء أمام بوابة الحديد،
وخلف الباب، يا صاحبتي، كنا خمسمئة من الرجال.

لم تكوني واحدة من النساء الست
أما أنا فكنت واحداً من الرجال الخمس مئة...

نظمت القصيدة حول لوحة ابراهيم بلابان التي تحمل عنوان: « بوابة السجن »

سجن بورصه ١٩٤٨



حلم

ليلة البارحة تسللت إلى أحلامي :
بدوت كما لو كنت جالسة عند ركبتي .
رفعت رأسك، أدرت عينيك العسليتين الواسعتين نحوي ،
شفتاك المبللتان تحركتا عدة مرات
غير أنني لم أكن أسمع شيئاً .
في مكان من أعماق الليل
دقات الساعة تتلاحق كما لو كانت محملة بالأخبار السارة .
الأجواء ملأى بحفيف اللابداية واللانهاية .
إنها حبلى بأصوات :
كناري في قفصه الأحمر ،
ودمدمات أغنية «ممو»
ودبيب البذور المنتشية
وهي تسمو دافعة التربة المحروثة ،
إنني أسمع ضجيجاً صاخباً
ينطلق من حناجر الجماهير المنتصرة .

شفتاك الدافئتان دائبتان على الحركة
غير أنني لا أسمع شيئاً. . . .
أفقت من النوم مقهوراً،
وجدتني غافياً فوق الكتاب.
رحت افكر:
ألم تكن تلك الأصوات أصواتاً قادمة منك أنت؟

١٩٤٨

رحلة على ظهر احد زوارق الفحم

رحلتنا كانت على ظهر واحد من زوارق الفحم،
ما أكثر المرافىء التي رسا فيها
وما أكثر أغاني الحزن التي تتردد أصداؤها على

جدرانه!

ذلك الأفق البادي أمامنا كل صباح
ألم نخلفه وراءنا كل مساء؟
ويا لأسراب النجوم التي مرت بنا سابحة في البحار!
يا للحسرة العظيمة
وهي تتجلّى على صفحة الماء السابحة
عند كل فجر!
ألسنا إذن راحلين؟
نعم راحلون!!

١٩٤٨



الذبحة القلبية

إذا كان نصفه هنا، أيها الطبيب،
فإن نصف قلبي الآخر موجود في الصين.
إنه مع ذلك الجيش
المتدفق مع النهر الأصفر.
وعند كل فجر، أيها الطبيب،
عند كل فجر يكون قلبي
مع الذين يعدمون في اليونان.
وما أن يخيم الصمت هنا
عندنا بعد أن يهدأ الجميع
حتى يطير قلبي، أيها الطبيب،
كل ليلة،
ليحيط في تلك الدار الهرمة بين أشجار الصنوبر.
وخلال السنوات العشر الأخيرة
لم يبق عندي، أيها الطبيب، ما أستطيع
تقديمه إلى شعبي الفقير

سوى هذه التفاحة الحمراء
تفاحة حمراء واحدة هي :
قلبي !
ذلك هو السبب وراء ذبحتي القلبية
أيها الطبيب العزيز، عبثاً تعزونها
لقصور التروية حيناً
وللينكوتين حيناً آخر
وللسجن أحياناً أخرى.

أحدق في الليل عبر قضبان الحديد،
رغم الألم الذي أحس به ضاغطاً على صدري
فإن قلبي ينبض متناغماً مع أحد النجوم.

١٩٤٨

استمري واقفة في النور، لا تتحركي!
لتبق الشمس حاضنة فستانك الأخضر،
لقد انفتح جرحي بصورة مفاجئة
سيل الدماء يكاد يجرفني . . .

بورصه ١٩٤٨



رأسي يعمل دون توقف،
إنه دائب على خلقك
بيدي اللتين لا تلامسانك
أكسو جسدك الأبيض بفستانك الأخضر.

بورصه ١٩٤٨



الخبر الأسود

في «أرزنجان»[1] طائر
جناحه غير موشّى بالفضة.
حبيبتي ذهبت ولم تعد
لا رجاء في الأمر!
إيه أيتها الجبال الشامخة
أخذت ارزنجان رأسها الدامي
بين يديها
وراحت تذرف دموعها الحارة
فوق الثلوج.
إذا لم تبك أرزنجان فمن سيبكي؟!

بتساقط الثلج لقماً كبيرة
هي عادته، أتى وسيرحل
الموتى النائمون على ظهورهم جنباً إلى جنب
لن يمكن.التعرف عليهم بعد المغيب
وما من أحد سيشعل أيما نار. . .

سينبلج الصبح، ويطلع الفجر
غير أن أحداً لن يذهب إلى رأس العين
فالموتى غارقون في نوم عميق
وما من أحد يستطيع
ايقاظ رؤوسهم المسحوقة. .

صوت امتلأ الليل بصداه
دقت ساعة المعتقل: الثانية ليلاً
ما أسرع ما انتهت الحياة!..
بعضهم ذوو لحى بيضاء،
بعضهم في الشهر السادس من أعمارهم
بعضهم في الثالثة عشرة
أو الرابعة عشرة.

بعضهم يتأهب للرحيل
وبعضهم ينتظر الرسائل
هكذا كان الموتى النائمون
على ظهورهم . .
القربة كانت ملآى بالزبدة
استحال استخراجها،
وما من أحدٍ استطاع أن يملأ الكيس
جبناً أبيض،
الموتى أخذوا معهم الحسرة على كل ذلك،
إنهم لم يشبعوا من الحياة. . .

لم يفيقوا ليهربوا،
لم يتحَولوا إلى طيور ليطيروا،
القبور محفورة،
غير أن أحداً لا يستطيع النزول فيها،
بغال أرزنجان مشهورة بالنشاط
غير أن الموتى لا يجيدون ركوب الخيل. .
هذه هي حال الموتى النائمين على ظهورهم
مصطفين جنباً إلى جنب

١٩٤٨

١ ـ اسم مدينة في تركيا

قصائد ١٩٤٩



جيوش الصين الشعبّية أنقذتني ذات يوم

كنت في عامي الثاني عشر من السجن
ومنذ ثلاثة أشهر
كنت مثل جثة هامدة
جثتي الهامدة
كانت ممددة على الأرض،
وأنا الحي
كنت أرقبها متعظاً،
لا حول لي ولا قوة!
الجثة كانت تأكل نفسها،
كانت وحيدة مثل كل الجثث. . .
امرأة عجوز وقفت عند الباب:

امي .
الأم وابنها تعاونا على تشييع الجنازة،
أمسكت أنا في القدم، وهي من الرأس،
حملناها رغم ثقلها
ألقينا بها في نهر اليانغ تسي .
الجيوش المتلألئة كانت تتدفق من الشمال .

١٩٤٩

أغرب مخلوق في الدنيا

إنك مثل العقرب يا أخي،
مخبوء في الظلام موئل الجبناء مثل العقرب...
أنت مثل العصفور الدوري،
إنك غارق في قلق الدوري،
أنت كالحلزون يا أخي،
محكم الاغلاق كثير الهدوء مثل الحلزون.
أنت تخيف مثل فوهة بركان منطفىء.
لست واحداً
لست خمسة
إنك تعد بالملايين مع الأسف!
أنت مثل الغنم يا أخي
ما أن يهز الراعي الأجرب عصاه
حتى تلحق القطيع
لتنخرط مزهواً في الجمع المنطلق إلى المذبح.

إنك أغرب مخلوقات هذه الدنيا
أنت أشد غرابة حتى من الأسماك
التي تعيش حياتها في اليم دون أن تعرفه
إن هذا الظلم في هذا العالم
قائم بفضلك أنت!
جوعنا، تعبنا، دماؤنا النازفة.
تعرضنا للسحق والاعتصار
كما يعتصر العنب لصنع الخمرة،
كل ذلك أنت يا أخي يا حياتي
تحمل قسطاً كبيراً من وزره
حتى لا أقول: أنت وحدك هو المسؤول !

١٩٤٩

حول أيديكم والكذب

أيديكم: وقورة مثل كل الصخور
حزينة مثل كل الأغنيات التي تتردد خلف أسوار السجون
ضخمة وثقيلة مثل كل حيوانات الجر
إنها أشبه بوجوه ساهمة لأطفال هدهم الجوع.
أيديكم: خفيفة ماهرة كالنحل،
مكتنزة مثل أثداء ممتلئة،
مقدامة مثل الطبيعة.
إنها تخفي آيات النعومة والحب تحت جلودها الخشنة.

هذه الدنيا ليست محمولة على قرن ثور
بل أيديكم هي التي تحملها.
أيها الناس، يا من أناجيكم...

يا أهل آسيا، يا من تعيشون في افريقيا!
أنتم يا من تقطنون أوطاني: في الشرق الأدنى
في الشرق الأوسط، في جزر المحيط الهادي؛
أنتم يا من تشكلون أكثر من سبعين بالمئة من البشر
إنكم متشوقون وحزانى مثل أيديكم،
أيها الناس، يا من أناجيكم!..
في أوروبا، في أمريكا،
إنكم متيقظون، مندفعون مثل أيديكم،
ولكنكم تصدقون الاكاذيب بسهولة
فتقعون ضحايا التضليل

مثل أيديكم...

أيها الناس، يا من أناجيكم! . . .
إذا كانت «الانتينات» تكذب،
ووسائل الاعلام تكذب،
وسائر الكتب تكذب،
واللصاقات، والنشرات الدعائية، تكذب
إذا كانت السيقان العاريات للفتيات تكذب على الشاشة البيضاء،
إذا كانت الصلوات تكذب،
وترانيم الأطفال تكذب،
والأحلام، بدورها، تكذب،
إذا كان عازف الكمان في الحانة يكذب،
إذا كان القمر، في ليالي الأيام السوداء، يكذب،
إذا كان الصوت يكذب،
إذا كان كل شيء عدا أيديكم يكذب،

فذلك كله من أجل أن تبقى أيديكم :
مطواعة كالطين،
عمياء كالظلام،
حمقاء ككلاب الرعيان،
هادئة لا تتمرد.

ذلك كله من أجل أن تدوم
سلطنة التجارة وآيات الطغيان
في هذه الدنيا طيلة بقائنا القصير
في هذه الدنيا المترعة بالموت،
هذه الدنيا الجديرة بالحياة.

١٩٤٩

الترنيمة

روحي أنا
هلّا أغمضت عينيك برفق!
هلّا انغمست بيضاء عارية في غمرة النوم
كما لو كنت تنغمسين في الماء!؟
فأجمل الأحلام وأورعها
تنتظرك هناك...

روحي أنا
أغمض عينيك بكثير من الرفق
استرحي كما لو كنت بين ذراعي،
حذار أن تنسيني
وأنت في النوم!...
أغمض عينيك برفق
تلك العينين الشهلاوين الخضراوين..

روحي أنا . .

أيا روحي . . .

أنتِ هناك في الأعالي

في قلب الأغصان المثقلة بالثمار،

عيناك الخضروان ملأتهما الشمس،

شفتاك المكتنزتان مغموستان بالعسل

أنا هنا عند قاعدة الشجرة،

احدى قدمي في الحفرة . . .

إنني راحل قبلك بكثير،

وأنت ستبقين في شيخوختك . . .

١٩٤٩

أنت

أنت قيدي وحريتي،
أنت لحمي المحترق مثل ليلة صيفية عارية،
أنت بلادي،
أنت يا من عيناها العسليتان توشيهما الخيوط السندسية،
أنت حبي الكبير، حبي الجميل والعظيم
أنت ذلك الشوق المبتعد كلما اقتربت منه . . .

١٩٤٩



الخريف

ساعات النهار بدأت تتقلص
الأمطار أوشكت على الهطول.
أبوابي المشرعة تماماً بقيت تنتظرك.
لماذا تأخرت هكذا؟
مائدتي عامرة بالفلفل الأخضر، والملح، والخبز
ابريق الخمر الذي خبأته لك
شربت نصفه وحدي
وأنا أنتظرك
لماذا تأخرت هكذا؟
ولكن الثمار المعسولة ها هي
ما تزال على اغصانها ناضجة مكتنزة
كادت تتهاوى على الأرض دون حاجة لأن تمسها يد
لو أنك تأخرت أكثر . . .



حولكِ أنت مرة أخرى

أحبك . . أحب فيك :
مغامرة السفينة المبحرة إلى القطب ،
مغامرة رحلات الاستكشاف الجريئة ،
البعد السحيق ،
نعم أحب فيك :
الاستحالة
أهوى : أن أغوص في عينيك كما لو كنت أغوص في غابة
غارقة في الشمس ،
أن أعض لحمك مغموساً بالعرق والدم
بشهوة مثل شهوة الصياد .
أحب فيك تلك الاستحالة .
لا . . إنها بعيدة كل البعد عن اليأس .

١٩٤٩



الخوف

يمنعوننا من ترتيل مواويلنا
يا أخي الزنجي يا ذا الأسنان اللؤلؤية
يا روبسون Robson
يا كناري، يا من جناحاك جناحا نسر.
إنهم يمنعوننا من ترتيل مواويلنا.
إنهم خائفون يا روبسون،
يخافون الفجر،
يخافون الرؤية، يخافون الاصغاء يخافون الاحساس بالملامسة.
إنهم يخافون البكاء الاشبه بالاغتسال عارياً في المطر،
إنهم يخافون الضحك الأشبه ببعض فاكهة كمثرى صلبة.
يخافون الحب، الحب الشبيه بحب فرهادنا
(لا بد أن عندكم فرهادكم ايضاً يا روبسون!
فما اسمه؟)

إنهم يخافون البذور والتراب،
يخافون المياه المتدفقة والذكريات.
ذلك لأن راحات أكفهم لم يسبق لها
أن أصغت إلى يد صديقة مثل طائر مفعم بالدفء
تهمس بالحب لا حول العمولة والحسميات والصفقات.
إنهم يخافون الأمل، نعم يخشون الأمل.. نعم الأمل.
إنهم يخافون أغنياتنا
أيا كناري الجميل يا من جناحاك جناحا نسر.

١٩٤٩

لدى مغادرة السجن

في تلك الأمسية
حين نخرج من باب القلعة لملاقاة الموت
حين نلتفت لنلقي نظرة الوداع على المدينة
سنكون، يا حبيبتي، جديرين بأن نقول:
«- رغم أنك لم تجعلي وجوهنا تضحك،
فإننا بذلنا كل ما استطعنا بذله
في سبيل جعلك سعيدة فرحة.
مسيرتك نحو السعادة مستمرة،
فالحياة مستمرة. . .
مطمئنون نحن،
نحس في اعماقنا بالشبع من الخبز الحلال،
في أعماقنا نحس بالحزن لابتعادنا عن أنوارك،
جئنا وها نحن راحلون
فلتبق مدينة حلب مغمورة بالأفراح. .»

١٨ / ١٠ / ٩٤٩



نصائح الى مرشحي السجون

إذا ما كفوا عن تعليقك على المشنقة
لأنك لم تيأس من العالم

ومن وطنك ومن الانسان،
واكتفوا بالقائك في غياهب السجون،
فإنك ستنام هناك عشراً من السنين
بل خمس عشرة سنة اضافة الى المدة
التي ستقضيها بعد،
دون أن تقول:
«ليتني لحت معلقاً بطرف جبل
مثل راية ترفرف!»
إنك ستبقى مصراً على الحياة بعناد.

قد لا تكون الحياة مليئة بالفرح، بعد،
غير أنها دين بذمتك
أن تعيش يوماً اضافياً
كيداً للعدو
واجب عليك.

قد تبقى في أعماق السجن وحيداً
متكئاً على احد جنبيك كما لو كنت صخرة
في أعماق بئر،
ولكن على جنبك الآخر
أن يندمج بزحمة الحياة الصاخبة
حتى ترتجف مستجيباً لأبسط حركة
تحدثها ورقة ذابلة.
عذب ان تنتظر الرسائل وأنت في الداخل،
أن تنشد الأغاني العاطفية

أن يطلع الصبح وأنت مثبت ناظريك على السقف،
ذلك عذب ولكنه محفوف بالأخطار.
انظر إلى وجهك بعد كل حلاقة.
انسى عمرك،
احترس من القمل،
ومن نسمات امسيات الربيع الباردة،
احرص ايضاً
على تناول حصتك من الخبز حتى اللقمة الأخيرة،
واحذر من نسيان الضحك ملء الفم. . .
من يدري؟
قد تقلع المرأة التي تحبها عن حبك،
لا تستهن بالأمر!
فتلك مسألة جادة تحدث لدى السجين
شعوراً كما لو أن غصنا أخضر قد قصف.

سيء أن تحلم بالورد والبساتين وأنت في الداخل،
جيّد أن تحلم بالغابات والبحار الصاخبة.
أوصيك بالقراءة والكتابة على الدوام
إضافة إلى تعلم الحياكة،
وصب المرايا.
ليس مستحيلاً أن تقضي في السجن
عشراً من السنين، خمس عشرة وأكثر
ذلك ممكن شريطة:
ألا تسودّ تلك الجوهرة النائمة تحت ثديك الأيسر!

أيار ١٩٤٩



الفهرس

قصائد ١٩٤٠ .... ٥

- كاتب في قلم السجن ٦
- رسائل من سجن « جانقري » ١٠
- قصة يونس الأعرج وشجرة الجوز ٢٦
- ميلاده وكور الحداد ٤٢
- هو وأصحاب اللحى البيضاء ٤٦
- حان موعد البشائر ٥٠
- مرحباً ايها الاطفال ٥٤
- قصة الحوض ٥٦
- رحلة يوسف البائس ٧٢
- سليم بن شعبان ٧٨
- « قوز قونجوك » ٨٠
- الكتاب ٨٤
- المركب الاخير ٨٦
- الصفحة الواحدة والعشرون ٨٨

- حلم راشيل ٩٠
- الصفحة الاربعون ٩٢
- موظف ديوان في سجن استانبول........................... ٩٤
قصائد ١٩٤١ .... ٩٩
- حول النصر ١٠٠
- في سجن بورصه:ريح الجنوب........................... ١٠٤
- شعور غريب ١١٢
- قصة الشيطان والراهب
في احدى الكنائس الشمالية الفقيرة........................... ١٢٤
قصائد ١٩٤٥ .... ١٤٣
- بدون عنوان........................... ١٤٤
- بدون عنوان........................... ١٤٦
- بدون عنوان........................... ١٥٠
- بدون عنوان........................... ١٥٢
- بدون عنوان........................... ١٥٤
- بدون عنوان........................... ١٥٦
- بدون عنوان........................... ١٥٨
- بدون عنوان........................... ١٦٠
- بدون عنوان........................... ١٦٢
- بدون عنوان........................... ١٦٤
- بدون عنوان........................... ١٦٦

- غيرتي عليك ١٦٨
- بدون عنوان ١٧٠
- بدون عنوان ١٧٢
- بدون عنوان ١٧٤
- بدون عنوان ١٧٦
- بدون عنوان ١٧٨
- بدون عنوان ١٨٠
- بدون عنوان ١٨٤
- بدون عنوان ١٨٦
- بدون عنوان ١٨٨
- بدون عنوان ١٩٠
- بدون عنوان ١٩٢
- بدون عنوان ١٩٤
- بدون عنوان ١٩٦
- بدون عنوان ١٩٨
- بدون عنوان ٢٠٠
- العدو (١) ٢٠٢
- العدو (٢) ٢٠٤
- رباعيات ٢٠٦
- بدون عنوان ٢١٢
- قصائد ليلة ٩ ـ١٠ .... ٢١٤

- الفهد والحور ٢٢٠
- مشهد في الربيع ٢٢٦
- في غمرة حزننا الكبير ٢٣٠
- الخريف ٢٣٢
قصائد ١٩٤٦ .... ٢٣٣
- ليلاً والثلج يصل الى الركب........................ ٢٣٤
- حول الموت ٢٤٠
- رسالة شعرية ٢٤٨
- حلم ابراهيم ٢٥٠

قصائد ١٩٤٧ .... ٢٥١
- حول لوحة «الربيع» للفنان
ابراهيم بلابان........................ ٢٥٢
- في عهد السلطان عبد الحميد........................ ٢٥٨
- بتروغراد ١٩١٧ .... ٢٦٠
- منذ دخلت السجن........................ ٢٦٨
- دونكيشوت ٢٧٤
- عاشقكم شيوعي........................ ٢٧٦
- نحن ٢٧٨
- الطاهر وقضية الزهري........................ ٢٨٢
- اللعنة ٢٨٦
- الهراء ٢٨٨

الكلام ٢٩٠
- ارنب سقط من القمر ٢٩٢
- رباعية ٢٩٤
- رباعية ٢٩٦
- رباعية ٢٩٨
- حول الـ « اولوداغ » ٣٠٠
- رجل حسود ٣٠٤
- المرارة........................ ٣٠٦
- عينا اميرتي عسليتان........................ ٣٠٨
- اغمضت عينيَّ........................ ٣١٠
- قضية البكاء........................ ٣١٢

قصائد ١٩٤٨ .... ٣١٣
- حول الحياة (١) ٣١٤
- حول الحياة (٢) ٣١٦
- حول الحياة (٣) ٣١٨
- هكذا اذن يا اسماعيل لاز........................ ٣٢٠
- حول القرن العشرين........................ ٣٢٨
- يوم الأحد........................ ٣٣٤
- المشعل........................ ٣٣٦
- بدون عنوان........................ ٣٣٨
- حلم ٣٤٢

- رحلة على ظهر احد زوارق الفحم ٣٤٤
- الذبحة القلبية ٣٤٦
- بدون عنوان ٣٤٨
- بدون عنوان ٣٥٠
- الخبر الأسود ٣٥٢

▫ قصائد ١٩٤٩ .... **٣٥٧**

- جيوش الصين الشعبية انقذتني ذات يوم ٣٥٨
- اغرب مخلوق في الدنيا ٣٦٠
- حول ايديكم والكذب ٣٦٢
- الترنيمة ٣٦٦
- انت ٣٦٨
- الخريف ٣٧٠
- حولك أنت مرة أخرى ٣٧٢
- الخوف ٣٧٤
- لدى مغادرة السجن ٣٧٦
- نصائح الى مرشحي السجون ٣٧٨

▫ فهرس القصائد **٣٨٧**

مطابع الأمل بيروت - لبنان - كورنيش المزرعة - بناية جندلي
تجاه سينما بيروت - تلفون ٣١٠٧٩٩

إن كاتب هذا الكتاب شاعر تركي عادي يعتز بأنه اعطى قلبه وعقله وقلمه، وعمره كله، لشعبه. ومن جهة أخرى فإن هذا الشاعر دأب بواسطة الشعر على تمجيد جميع نضالات كل الشعوب، منهما كان اسمها وموقعها الجغرافي وقوميتها وعرقها، في سبيل الاستقلال القومي والعدالة الاجتماعية والسلم، وقد اعتبر انتصارات هذه الشعوب انتصارات لشعبه هو، وهزائمها هزائم له، كما اعتبر أفراحها وأتراحها أفراحاً وأتراحاً لشعبه بالذات، ففي هذا الكتاب أصداء لهذه الاتراح، لهذه الأفراح، ولهذه الهزائم، والانتصارات.

وهذا الكتاب، من جهة ثانية، يضم قصة الأحداث التي مرت بانسان فرد: بما فيها أهواؤه وحسراته ومواقفه العملية التي اتخذها ازاء الموت، ومخاوفه، وأمراضه، وآماله، واسباب اعتزازه، ومعتقداته.

الثمن ١٥ ل.ل. او ما يعادلها